

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

# الجماعة الجبورية الإسلامية على غزو المعطلة والجهية

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن  
أبي بكر بن أيوب  
بن سعد الذرعي ثم الدمشقي الشهير  
بابن قيم الجوزية  
( ٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ )

تحقيق وتعليق  
سليم الهتالي

دار السلفية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# مذهب

## الجهتاء في الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجرميّة

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب  
بن سعد الذرعي ثم الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية  
( ٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ )

تحقيق وتعليق  
سليم الرتلاي

دار السلفيّة

اجتماع الجيوش الإسلامية  
على غزوة البصرة والرميعة

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أيوب بكر بن أيوب  
بن سعد الذرعي ثم المصنعي الشهير بابن قيم الجوزية  
( ٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى  
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الناشر  
الدار السلفية

حولي - شارع تونس مقابل محافظة حولي  
تلفون: ٢٦١٧٤٢٠  
ص.ب: ٢٠٨٥٧ الصفاة - الكويت  
الرمز البريدي 13069 الصفاة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله .

أما بعد . فقد عاش الصحابة رضوان الله عليهم وتابعوهم بإحسان في القرون المشهود لها بالبر والتقوى والعلم النافع واستقوا من ذلك النور الرباني المنزل على خاتم الانبياء والمرسلين، فتبؤوا مكاناً علياً، وكانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وتؤمن بالله إيماناً سلم من أيادي الزندقة والضلال فعم الخير وخفقت رايات النصر .

ولكن قوماً من نوابت أهل الملل والمعتقدات والأهواء لم يعمروا الإيمان قلوبهم عضهم الحقد بنابه خاضوا في الله ذاتاً وصفاتاً ابتغاء الفتنة؛ فأيقظوا فلسفة اليونان، وزندقة المجوس، وأعادوها جذعاً فأضحى الناس يومئذٍ شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون .

وصمدت صفوة من العلماء جردوا القلم من غمده وأمعنوا في تضليل المأولين نحراً وتقتيلاً .

ومن هؤلاء العدول الإمام الرباني شيخ الإسلام الثاني

ابن قيم الجوزية رحمه الله الذي ألف «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» لبتراً أنامل أهل البغي والفساد، ففصل القول في مسألة العلو التي تعد بحق من لباب العقيدة فدرج على منهج السلف الصالح ونصره، ودافع دفاعاً تحمداً عقباه، وأبلى بلاءً حسناً بأسلوب يفيض حيوية ويشتعل حماساً متدفقاً بعلاج أمراض القلب التي تجتاله عن المحجة البيضاء، فلا عجب أن نرى مؤلفاته تعيش إلى يوم الناس هذا - رغم كيد الأفاكين - وهي محل إعجاب وروعة وتأثير عميق من كافة طبقات الأمة الإسلامية.

ورحم الله الشوكاني إذ قال في «البدر الطالع» (٢/١٤٤ - ١٤٥) : «وله من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين بحيث تعشق الأفهام كلامه وتميل إليه الأذهان وتحبه القلوب وليس له على غير الدليل معول في الغالب...»

ولما كان الأمر بآخره وسعى دعاة في أثواب زهاد للكيد في عقيدة السلف الصالح لم يعد أمام طلبة العلم الشرعي إلا أن يبعثوا تراث السلف الصالح تحقيقاً واختصاراً وتهذيباً.

ولقد وفقني الله - وله الحمد والمنة - فهذبت «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» مقرباً هذه المسألة الهامة إلى الناشئة وأرجو الله أن يثبت قدمي على دينه بفهم الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم القويم إلى يوم الدين.



## الكتاب ومنهجي في تهذيبه

طبع الكتاب عدة مرات . وابن قيم الجوزية لم يسمه بهذا الأسم في فاتحة الكتاب ولكن صرح باسمه في «الفوائد» ( ص ٤ ) فقال: «وقد ذكرت ما تضمنت الآية من الأسرار والعبر في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» .

ووجدت هذه الأسرار والعبر مفصلة أجمل تفصيل ومبينة أحسن بيان في مقدمة الكتاب فكان الأمر كما وصف رحمه الله .

وأشار ابن قيم الجوزية رحمه الله إلى موضوع الكتاب في كتابه « حادي الأرواح » ( ص ٣٣١ - طبع صبيح ) فقال: «وقد جمعت في مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفرًا متوسطًا» .

● وقد اعتمدت على أربع نسخ مطبوعة للوصول إلى نص

موثق

أ - الطبعة الهندية سنة ١٣١٤هـ

ب - الطبعة المنيرية بمصر سنة ١٣٥١هـ

ت - طبعة مكتبة الرياض الحديثة دون تاريخ

ث - طبعة دار الكتب العلمية ١٤٠٤هـ

● مقدمة المصنف وهي طويلة وذات فوائد حذفت منها

الأحاديث الضعيفة وما تعلق بها .

● الآيات الدالة على علو الرب تعالى على خلقه واستوائه

على عرشه أبقيت ما هو نص في المسألة .

● الأحاديث النبوية اعتمدت على الصريحة الصحيحة في

أن الله في السماء.

● أما أقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة فقد اقتصرنا على أشهرها ورتبتهم في طبقات: الصحابة ثم التابعين ثم الأئمة الأربعة وأشهر تلاميذهم.

● ثم أوردت أقوال أئمة اللغة والتفسير.

● خرجت جميع الأقوال والآثار والأحاديث التي أثبتتها واعتمدت عليها حسب قواعد علم الحديث الشريف وتكلمت عليها بإسهاب في أكثر المواطن وباختصار في أخرى قليلة.

وأرجو الله أن ينفع بهذا «المهذب» أقواماً تثبتاً وبياناً للحق الذي ندين الله به.

## ترجمة ابن قيم الجوزية<sup>(١)</sup>

### ● نَسَبُهُ وَنِسْبَتُهُ

هو أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد<sup>(٢)</sup> الذُّرعي<sup>(٣)</sup> ثم الدمشقي<sup>(٤)</sup> الشهير بابن قيم الجوزية<sup>(٥)</sup> لا غير خلافاً للكوثري الذي نبزه بابن زفيل على تفصيل ذكره بكر بن

(١) مصادر ترجمته: «البداية والنهاية» لابن كثير (٢٣٤/١٤)، «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٤٤٧/٢)، «البدر الطالع» للشوكاني (١٤٣/٢)، «طبقات المفسرين» للدَّوودي (٩٣/٢)، «أبجد العلوم» لصديق حسن خان (١٣٨/٣)، «شذرات الذهب» لابن عماد الحنبلي (١٦٨/٦)، «بغية الوعاة» للسيوطي (٦٢/١)، «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي (ص ٦٨).

(٢) اتفقت مصادر ترجمته على جر نسبه إلى جد أبيه (سعد) ثم اختلفت.

(٣) ولادة، نسبة إلى زُرْع قرية من أعمال حوران.

(٤) انتقالاً وإقامة ووفاءً.

(٥) إذ كان أبوه رحمه الله قيماً على المدرسة الجوزية فقبل له: قِيمَ الجوزية واشتهرت

ذريته من بعده بذلك فكان يقال للواحد منهم: ابن قِيمَ الجوزية.

والجوزية من أعظم مدارس الحنابلة بدمشق الشام نسبةً إلى واقفها يوسف بن

عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله.

ولا يزال موقعها معروف في حي البزورية المسمى قديماً سوق القمح، وقد

اختلس جيرانها معظمها وبقي منها بقية، ثم صارت محكمة سنة ١٣٢٧هـ ثم

أقلت مدة إلى أن فتحها جمعية الإسعاف الخيري مدرسة لتعليم الأطفال، وقد

احترقت سنة ١٩٢٥م أثناء الثورة السورية على الفرنسيين ثم أعيد بناؤها. أفاده ابن

بدران في «منادمة الأطلال» (ص ٢٢٧)، ومحمد مسلم الغنيمي في «ابن قيم

الجوزية» (ص ١٠٠).

عبدالله أبو زيد في كتابه القيم «ابن القيم حياته وآثاره» ( ص ١٨ - ٢٠ ) فجزاه الله خيراً .

### ● ولادته

ولد رحمه الله في السابع من شهر صفر الخير سنة ٦٩١هـ .

### طلبه للعلم

عُرِف عن ابن قيم الجوزية الرغبة الصادقة الجامعة في طلب العلم، والجلد والتفاني في البحث منذ نعومة أظفاره، فقد سمع من الشهاب العابر المتوفي سنة ٦٩٧هـ فقال رحمه الله في «زاد المعاد» ( ٣٣/٣ ) : «وسمعت عليه عدة أجزاء ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه لصغر السن واخترام المنية له رحمه الله» .

وبهذا يكون ابن قيم الجوزية قد بدأ الطلب لسبع سنين مضت من عمره .

### ● رحلاته

قدم ابن القيم رحمه الله القاهرة غير مرة وناظر وذاكر قال في «إغاثة اللهفان» ( ١٧/١ ) : «وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر...» .

وقال في «هداية الحيارى» ( ص ٨٧ ) : «وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة» .

وكان رحمه الله كثير الحج والمجاورة كما ذكر في بعض كتبه مثل «مدارج السالكين» ( ٥٧/١ - ٥٨ ) .

وقال ابن رجب في «زيل طبقات الحنابلة» ( ٤٤٨/٢ ) :

«وحج مرات كثيرة وجاور بمكة وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه» .

### ● مكتبته

كان ابن قيم الجوزية رحمه الله مُغرماً بجمع الكتب وهذا دليل الرغبة الصادقة للعلم بحثاً وتصنيفاً وقراءة وإقراءً يظهر ذلك في غزارة المادة في مؤلفاته والقدرة العجيبة عن حشد الأدلة وحسبك أن تعلم أن موارده في أصل مهذبنا هذا الذي بين يديك اكثر من مائة كتاباً وهاك إياها مرتبة على حروف المعجم .

١ - آداب المريدين لأحوال العبادة لابن عبدالله محمد بن عثمان المالكي .

٢ - الإبانة لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري .

٣ - الإبانة لأبي الطيب الباقلاني .

٤ - الإبانة لأبي عبدالله بن بطة .

٥ - إثبات العلو لأبي منصور عبدالله محمد الوليد .

٦ - إثبات صفة العلو لأبي محمد عبدالله بن أحمد

المقدسي .

٧ - أجوبة في السنة لسعد بن علي الزنجاني .

٨ - الأجوبة المصرية لابن تيمية .

٩ - اختلاف الفقهاء لزكريا بن يحيى الساجي .

١٠ - الإرشاد لأبي المعالي الجويني .

١١ - الاستيعاب لابن عبد البر .

١٢ - الاسماء والصفات للبيهقي .

١٣ - الأصول لأبي عمرو الطلمنكي .

- ١٤ - اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات لأبي عبدالله بن خفيف الشيرازي .
- ١٥ - اقسام اللذات فخر الدين الرازي .
- ١٦ - الأمالي لأبي الحسن الأشعري .
- ١٧ - الاهتداء لأهل الحق والافتداء لأبي القاسم عبدالله بن خلف المقري الأندلسي .
- ١٨ - الإيمان إلى مسألة الإستواء لأبي بكر الحضرمي .
- ١٩ - البيان لأبي الحسن العمراني اليميني الشافعي .
- ٢٠ - تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب .
- ٢١ - تاريخ ابن ابي خيثمة .
- ٢٢ - التاريخ الكبير للبخاري .
- ٢٣ - التاريخ الكبير لابن عساكر .
- ٢٤ - تاريخ نيسابور للحاكم .
- ٢٥ - التبصير في معالم الدين محمد بن جرير الطبري .
- ٢٦ - تبين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري لأبي القاسم بن عساكر .
- ٢٧ - تحريم اللواط لأبي هيثم بن خلف الدوري .
- ٢٨ - تحفة المتقين وسبيل العارفين عبد القادر الجيلاني .
- ٢٩ - الترغيب والترهيب إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي .
- ٣٠ - تفسير ابن جرير الطبري .
- ٣١ - تفسير الثعلبي لابن إسحاق أحمد بن محمد .
- ٣٢ - تفسير ابن أبي حاتم .
- ٣٣ - تفسير سنيد بن داود شيخ البخاري .

- ٣٤ - تفسير القرطبي .
- ٣٥ - التمهيد لابن عبد البر .
- ٣٦ - التمهيد في أصول الدين لأبي بكر الطيب الباقلاني الأشعري .
- ٣٧ - التهذيب للأزهري .
- ٣٨ - كتاب التوحيد لابن خزيمة .
- ٣٩ - الجامع للخلال .
- ٤٠ - الجامع الكبير للحسين بن أحمد الأشعري .
- ٤١ - الجامع الصغير للحسين بن أحمد الأشعري .
- ٤٢ - الجمع بين الصحيحين لعبد الحق .
- ٤٣ - جوابات المسائل التي سئل عنها أبو العباس من شريح رواية أبي القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني .
- ٤٤ - الحججة في بيان المحجة اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي .
- ٤٥ - حلية الأولياء لأبي نعيم .
- ٤٦ - خلق أفعال العباد للبخاري .
- ٤٧ - ذم الكلام وأهله للهروي .
- ٤٨ - الرد على الجهمية لأحمد بن حنبل .
- ٤٩ - الرد على الجهمية لعبد الرحمن بن أبي حاتم .
- ٥٠ - الرد على الجهمية لعبد العزيز بن يحيى الكناني .
- ٥١ - الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي .
- ٥٢ - الرد على الجهمية لابن عرفة .
- ٥٣ - الرد على الجهمية لإبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه .

- ٥٤ - رسالة في السنة ليحيى بن عمار السجزي .
- ٥٥ - رسالة في السنة لأبي عثمان اسماعيل الصابوني .
- ٥٦ - رسالة في السنة للمزني أبي ابراهيم اسماعيل بن يحيى .
- ٥٧ - رسالة في مجمل اعتقاد السلف لابن الحداد إلى أحمد بن الحسين الشافعي .
- ٥٨ - الرسالة لأبي محمد عبدالله بن أبي يزيد القيرواني .
- ٥٩ - الرسالة القديمة للشافعي .
- ٦٠ - الرسالة النظامية في الأركان الخمسة لأبي المعالي الجويني .
- ٦١ - كتاب الزهد لأحمد بن حنبل .
- ٦٢ - السنن للأثرم .
- ٦٣ - السنة لعبدالله بن الإمام أحمد .
- ٦٤ - السنة للخلال .
- ٦٥ - السنة لابن ابي حاتم .
- ٦٦ - السنة للطبري الشافعي .
- ٦٧ - السنة لللال لكائي .
- ٦٨ - السنة لأبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني .
- ٦٩ - سير الفقهاء ليحيى بن إبراهيم الطليطلي .
- ٧٠ - شرح الأسماء الحسنی للقرطبي .
- ٧١ - شرح الرسالة لابن ابي زيد القيرواني .
- ٧٢ - شرح السنة للطبراني .
- ٧٣ - الشريعة لأبي بكر الأجرى .
- ٧٤ - صريح السنة لمحمد بن جرير الطبري .



- ٧٥ - طبقات أصحاب الشافعي لأبي إسحاق الشيرازي .
- ٧٦ - كتاب العرش لابن أبي شيبة .
- ٧٧ - كتاب العظمة لأبي الشيخ ابن أبي محمد بن حيان الأصبهاني .
- ٧٨ - العقيدة لابن قدامة .
- ٧٩ - العقيدة لأبي جعفر الطحاوي .
- ٨٠ - علل الحديث لذكريا بن يحيى الذهلي .
- ٨١ - العمدة في الرؤية لأبي الحسن الأشعري .
- ٨٢ - الفيلايات لأبي بكر البزار الشافعي .
- ٨٣ - الفاروق للهروي .
- ٨٤ - فرع الصفات في تقرير نفات الصفات إمام الصوفية في وقته أبي العباس أحمد بن محمد المظفري المختار الرازي .
- ٨٥ - الفقه الأكبر مشهور عند أصحاب أبي حنيفة .
- ٨٦ - قصيدة في السنة وشرحها لسعد بن علي الزنجاني .
- ٨٧ - كتاب في أصول الدين لأبي عمر وعثمان بن أبي الحسن بن الحسين السهروردي .
- ٨٨ - كتاب في أصول السنة لأبي عبدالله محمد بن أبي نعيم المالكي .
- ٨٩ - كتاب في أصول الفقه لأبي أحمد الإسفرائيني .
- ٩٠ - كتاب في السنة لأبي الحسين العمراني اليمني الشافعي .
- ٩١ - الكشف عن مناهج الأدلة لأبي الوليد بن رشد المالكي .
- ٩٢ - الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي .

- ٩٣ - المجرد لابن فروك .
- ٩٤ - مختصر المدونة لأبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني .
- ٩٥ - مسائل الإمام أحمد رواية حرب .
- ٩٦ - مسند الحارث بن أبي أسامة .
- ٩٧ - مسند الحسن بن سفيان .
- ٩٨ - معالم التنزيل للبغوي .
- ٩٩ - كتاب المعرفة لأبي أحمد العسال .
- ١٠٠ - معرفة علوم الحديث للحاكم .
- ١٠١ - المغازي ليحيى بن سعيد الأموي .
- ١٠٢ - مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري .
- ١٠٣ - الملخص لأبي الحسن القاسبي .
- ١٠٤ - منازل السائرين للهروي .
- ١٠٥ - مناقب الإمام أبي القاسم اسماعيل بن محمد التميمي : للحافظ أبي موسى المدني .
- ١٠٦ - الموجز لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري .
- ١٠٧ - كتاب نزول الرب عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا للدارقطني .
- ١٠٨ - النقض للدارمي عثمان بن سعيد .
- ١٠٩ - النوادر لأبي محمد عبدالله بن زيد القيرواني .
- وقد وصف تلاميذه رحمهم الله مكتبته فأجادوا:
- قال ابن رجب رحمه الله في «ذيل طبقات الحنابلة»  
(٤٤٩/٢) : «وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالغته»

وتصنيفه واقتناء الكتب واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره» .

وقال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ( ٢٣٥/١٤ ) :  
«واقتنى من الكتب ما لا يتهياً لغيره تحصيل عشره من كتب  
السلف والخلف» .

قلت : ومع هذا كله يقول في «إغاثة اللهفان» ( ٣٢٩/١ )  
بتواضع جم : «... بحسب بضاعتنا المزجاة من الكتب» .

ورحم الله شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله القائل  
في «الوصية الصغرى» ( ص ٦١ بتحقيقي ) : «... فمن نور الله  
قلبه هداه بما يبلغه من ذلك ومن أعماه لم تزد كثره الكتب إلا  
حيرة وضلالاً...» .

#### ● مشاهير شيوخه

تلقى ابن قيم الجوزية رحمه الله العلم على كثير من  
المشايخ ومن أشهرهم :

- ١ - قيم الجوزية والده رحمه الله .
- ٢ - شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لازمه وتفقه به وقرأ  
عليه كثيراً من الكتب وبدأت ملازمته سنة ٧١٢هـ حتى توفي  
شيخ الإسلام سجيناً في قلعة دمشق ٧٤٨هـ .
- ٣ - المزني رحمه الله .

#### ● تلاميذه

- ١ - ابن رجب قال في «ذيل طبقات الحنابلة» ( ٤٤٧/٢ ) -  
٤٤٨ و ٤٥٠ ) : «ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة وسمعت  
عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة وأشياء من تصانيفه

وغيرها» .

٢ - ابن كثير رحمه الله قال في «البداية والنهاية» ( ٢٣٤ / ١٤ )  
- ( ٢٣٥ ) : «وكنت من أصحاب الناس له وأحب الناس إليه» .

٣ - الذهبي رحمه الله ترجم لابن قيم الجوزية في المعجم  
المختص بشيوخه .

٤ - ابن عبد الهادي رحمه الله قال ابن رجب في «ذيل  
طبقات الحنابلة» ( ٤٤٩ / ٢ ) «وكان الفضلاء يعظمونه ويتلمذون  
له كابن عبد الهادي وغيره» .

٥ - الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط .

قال الشوكاني في «البدر الطالع» ( ٢٨٠ / ٢ ) : «ثم ارتحل  
إلى دمشق فدخلها سنة ٧٥٥ فسمع من التقي السبكي وجماعة  
زيادة عن مائة كابن القيم وطبقته» .

### ● مؤلفاته

ضرب ابن قيم الجوزية بحظ وافر في علوم شتى يظهر هذا  
الأمر جلياً لمن استقصى كتبه التي كانت للمتقين إماماً وأفاد منها  
المآلق والمخالف قال ابن حجر رحمه الله : «ولو لم يكن للشيخ  
تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن  
قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها  
الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته» كما  
نقله صاحب الرد الوافر» ( ص ١٤٦ ) .

وليك أشهرها مرتبة على حروف المعجم :

١ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة  
والجهمية .

- ٢ - أحكام أهل الذمة .
- ٣ - إعلام الموقعين عن رب العالمين .
- ٤ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان .
- ٥ - بدائع الفوائد .
- ٦ - تحفة المودود في أحكام المولود .
- ٧ - تهذيب مختصر سنن أبي داود .
- ٨ - جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام .
- ٩ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح .
- ١٠ - حكم تارك الصلاة .
- ١١ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين .
- ١٢ - زاد المعاد في هدي خير العباد .
- ١٣ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .

- ١٤ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة .
- ١٥ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية .
- ١٦ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين .
- ١٧ - الفروسية .
- ١٨ - الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ( القصيدة النونية ) .

- ١٩ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين .
- ٢٠ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة .
- ٢١ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .
- ٢٢ - الوابل الصيب في الكلم الطيب .

## ● محنة وثبات

- ١ - حبس مع شيخه ابن تيمية في المرة الأخيرة في القلعة منفرداً عنه بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروباً بالدرة سنة ٧٢٦هـ ولم يفرج عنه إلا بعد موت شيخه سنة ٧٢٨هـ.
- ٢ - وحبس مرة لإنكاره شد الرحال إلى قبر الجليل.

## ● وفاته

توفي رحمه الله ليلة الخميس ثالث عشرين من رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وسبع مائة رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى وجمعنا وإياه في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

« مهذب اجتماع الجيوش الإسلامية  
على  
غزو المعطلة والجهمية »

رَفَع  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)



الله سبحانه المسؤول المرجو الإجابة أن يمتعكم بالإسلام  
والسنة والعافية فإن سعادة الدنيا والآخرة ونعيمهما وفورهما مبني  
على هذه الأركان الثلاثة، وما اجتمعن في عبد بوصف الكمال  
إلا وقد كملت نعم الله عليه، وإلا فنصيبه من نعمة الله بحسب  
نصيبه منها.

والنعمة نعمتان: نعمة مطلقة ونعمة مقيدة؛ فالنعمة المطلقة  
هي المتصلة بسعادة الأبد وهي الإسلام والسنة، وهي التي أمرنا  
الله سبحانه وتعالى أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها،  
ومن خصهم بها، وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى:  
﴿ومن يطيع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من  
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾:  
[ النساء: ٦٩ ] فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة

المطلقة وأصحابها أيضاً هم المعنيون بقول الله تعالى: ﴿اليوم  
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام  
ديناً﴾: [ المائدة: ٣ ] فأضاف الدين إليهم إذ هم المختصون  
بهذا الدين القيم دون سائر الأمم، والدين تارة يضاف إلى العبد،  
وتارة يضاف إلى الرب، فيقال: الإسلام دين الله الذي لا يقبل  
من أحد ديناً سواه، ونسب الكمال إلى الدين، والتمام إلى النعمة  
مع إضافتها إليه، لأنه هو وليها ومُسديها إليهم، وهم محل محض  
النعمة قابلين لها، وأما الدين فلما كانوا هم القائمين به،

الفاعلين له بتوفيق ربهم نسبه إليهم، فقال: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وكان الاكمال في جانب الدين والتمام في جانب النعمة، واللفظتان وإن تقاربتا وتواخيتا فبينهما فرق لطيف يظهر عند التأمل، فإن الكمال أخص بالصفات والمعاني، ويطلق على الأعيان والذوات، ولكن باعتبار صفاتها وخواصها، كما قال النبي ﷺ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ»<sup>(٦)</sup> وأما التمام فيكون في الأعيان والمعاني، ونعمة الله أعيان وأوصاف ومعانٍ، وأما دينه فهو شرعة المتضمن لأمره ونهيه ومحابه، فكانت نسبة الكمال إلى الدين والتمام إلى النعمة أحسن، كما كانت إضافة الدين إليهم والنعمة إليه أحسن، والمقصود أن هذه النعمة هي النعمة المطلقة وهي التي اختصت بالمؤمنين، وإذا قيل ليس لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو صحيح.

والنعمة الثانية: النعمة المقيدة كنعمة الصحة والغنى، وعافية الجسد وتبسط الجاه، وكثرة الولد، والزوجة الحسنة، وأمثال هذه، فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر، والمؤمن والكافر وإذا قيل لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق لا يصح إطلاق السلب والإيجاب إلا على وجه واحد، وهو أن النعمة المقيدة لما كانت استدراج.

(٦) أخرجه البخاري (٤٤٦/٦ و ٤٧١ - ١٢٦/٧ ، ٥٥١/٩ - الفتح ) ، و ( ١٥ / ١٩٨ - نووي ) ، والترمذي ( ١٨٣٤ ) ، وابن ماجه ( ٣٢٨٠ ) ، وأحمد ( ٤ / ٣٩٤ ، ٤٠٩ ) ، والبخاري في « شرح السنة » ( ١٦٣ / ١٤ ) ، وأبو نعيم في « الحلية » ( ٩٩ / ٥ ) .

وهذه النعمة المطلقة التي يفرح بها في الحقيقة، والفرح بها مما يحبه الله ويرضاه وهو لا يحب الفرحين قال الله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾: [يونس: ٥٨] وفضل الله ورحمته الإسلام والسُّنة، وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما، وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحاً حتى إن القلب إذا باشر روح السُّنة ليرقص فرحاً أحزن ما يكون الناس.

فإن السُّنة حصنُ الله الحصين الذي من دخله كان من الأمين وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين، تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم، ويسعى نورها بين أيديهم إذا اطفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم، وأهل السُّنة هم المبيضة وجوههم إذا اسودت وجوه أهل البدعة. قال تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾: [آل عمران: ١٠٦] وهي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداة وفوزه، قال تعالى: ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾: [الأنعام: ١٢٢] فصاحب السنة حي القلب مستنيره، وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه، وقد ذكر الله سبحانه هذين الأصلين في كتابه في غير موضع وهو صفة

أهل الإيمان، وجعل ضدّهما صفة من خرج عن الإيمان.

فإن القلب الحي المستنير هو الذي عقل عن الله وفهم عنه وأذعن وانقاد لتوحيده ومتابعة ما بعث به رسوله ﷺ.

والقلب الميت المظلم الذي لم يعقل عن الله، ولا انقاد لما بعث به رسول الله ﷺ، ولهذا يصف سبحانه وتعالى هذا الضرب من الناس بأنهم أموات غير أحياء، وبأنهم في الظلمات لا يخرجون منها، ولهذا كانت الظلمة مسؤولة عليهم في جميع جهاتهم، فقلوبهم مظلمة ترى الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وأعمالهم مظلمة وأقوالهم مظلمة، وأحوالهم كلها مظلمة، وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة، وإذا قسمت الأنوار دون الجسد للقبور عليه بقوا في الظلمات، ومدخلهم في النار مظلم، وهذه الظلمة هي التي خلق فيها الخلق أولاً، فمن أراد الله سبحانه وتعالى به السعادة أخرجته منها إلى النور.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل»<sup>(٧)</sup>.

فلذلك أقول جف القلم حتى علم الله، وكان النبي ﷺ يسأل الله تعالى أن يجعل له نوراً في قلبه، وسمعه، وبصره، وشعره، وبشره، ولحمه، وعظامه، ودمه، ومن فوقه، ومن تحته، وعن

(٧) صحيح - أخرجه الترمذي (٢٦٤٢)، وأحمد (١٧٦/٢ و١٩٧)، والحاكم

(٣٠/١) وقال صحيح ووافقه الذهبي، وابن حبان (١٨١٢ - موارد)

والأجري في «الشرعة» (ص ١٧٥)، وابن أبي عاصم في «السنة»

(١٠٧/١ - ١٠٨)، والهروي في «الأربعين في دلائل التوحيد» (رقم

٢٤١ - ٢٤٢).

يمينه، وعن شماله، وخلفه، وأمامه، وأن يجعل ذاته نوراً، فطلب ﷺ النور لذاته، ولأبعاضه ولحواسه الظاهرة والباطنة، ولجهاته الستة<sup>(٨)</sup>.

وقال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾: [البقرة: ٢٥٧]، فأولياؤهم يعيدونهم إلى ما خلقوا فيه من ظلمة طبائعهم وجهلهم وأهوائهم، وكلما أشرق لهم نور النبوة، والوحي وكادوا أن يدخلوا فيه منعهم أولياؤهم منه وصدوهم، فذلك إخراجهم إياهم من النور إلى الظلمات.

وقال تعالى: ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾: [الأنعام: ١٢٢] فأحياؤه سبحانه وتعالى بروحه الذي هو وحيه، وهو روح الإيمان والعلم، وجعل له نوراً يمشي به بين أهل الظلمة كما يمشي الرجل بالسراج المضيء في الليلة الظلماء فهو يرى أهل الظلمة في ظلامتهم، وهم لا يرونه كالبصير الذي يمشي بين العميان.

والخارجون عن طاعة الرسل صلوات الله وسلامه عليه ومتابعاتهم يتقبلون في عشر ظلمات: ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة القول، وظلمة العمل، وظلمة المدخل، وظلمة المخرج، وظلمة القبر، وظلمة القيامة، وظلمة دار القرار. فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاثة.

(٨) انظر «صحيح الجامع الصغير» (١٢٧٠).

وأتباع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يتقبلون في عشرة أنوار ولهذه الأمة من النور ما ليس لأمة غيرها ، ولنبيها ﷺ من النور ما ليس لنبي غيره .

وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ : [ الحديد : ٢٨ ] .

وفي قوله : ﴿تمشون به﴾ إعلام بأن تصرفهم وتقبلهم الذي ينفعهم إنما هو النور، وأن مشيهم بغير النور غير مجد عليهم، ولا نافع لهم، بل ضرره أكثر من نفعه، وفيه أن أهل النور هم أهل المشي في الناس، ومن سواهم أهل الزمانة والانقطاع فلا مشي لقلوبهم ولا لأحوالهم ولا لأقوالهم ولا لأقدامهم إلى الطاعات، وكذلك لا تمشي على الصراط إذا مشت بأهل الأنوار أقدامهم .

وفي قوله : ﴿تمشون به﴾ نكتة بديعة : وهي أنهم يمشون على الصراط بأنوارهم، كما يمشون بها بين الناس في الدنيا، ومن لا نور له فإنه لا يستطيع أن ينقل قدماً عن قدم على الصراط، فلا يستطيع المشي أحوج ما يكون إليه .

## فصل

والله سبحانه وتعالى سمي نفسه نوراً، وجعل كتابه نوراً،  
ورسوله ﷺ نوراً، ودينه نوراً واحتجب من خلقه بالنور، وجعل  
دار أوليائه نوراً يتلألاً .

قال الله تعالى : ﴿الله نور السموات والأرض، مثل نوره  
كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاج كأنها  
كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة، زيتونة لا شرقية ولا  
غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور،  
يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل  
شيء عليم﴾ : [ النور : ٣٥ ] .

وقد فسر قوله تعالى : ﴿الله نور السموات والأرض﴾ بكونه  
منور السموات والأرض، وهادي أهل السموات والأرض،  
فبنوره اهتدى أهل السموات والأرض، وهذا إنما هو فعله، وإلا  
فالنور الذي هو من أوصافه قائم به، ومنه اشتق له اسم النور  
الذي هو أحد الأسماء الحسنى، والنور يضاف إليه سبحانه  
وتعالى على أحد الوجهين إضافة صفة إلى موصوفها، وإضافة  
مفعول إلى فاعله. فالأول كقوله عز وجل : ﴿وأشرق الأرض  
بنور ربها﴾ : [ الزمر : ٦٩ ] فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى  
إذا جاء لفصل القضاء .

وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي موسى الأشعري

رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» (٩).

وفي صحيح مسلم، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أني أراه» (١٠)، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يقول: معناه كان ثم نور وحن دون رؤيته نور، فأني أراه.

قال: ويدل عليه أن في بعض الألفاظ الصحيحة: هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيت نوراً، وقد اعضل امر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم، فقال: «نوراني» على انها ياء النسب والكلمة كلمة واحدة، وهذا خطأ لفظاً ومعنى، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا ان رسول

---

(٩) أخرجه مسلم (٣/١٣ - ١٥ - نووي)، وابن ماجه (١٩٥ و ١٩٦)، والبخاري في «شرح السنة» (١/١٧٣)، وأحمد (٤/٤٠١، ٤٠٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٩ - ٢٠)، والطيالسي (٤٩١) والهيروني في «الأربعين في دلائل التوحيد» (ص ٥٠) وأبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٣١ و ٣٦ - ٣٧)، والأجري في «الشرعية» (ص ٢٩٠ و ٣٠٤) وأبو عوانة (١/١٤٥ و ١٤٦).

(١) أخرجه مسلم (٣/١٢ - نووي)، والترمذي (٣٢٨٢) وأحمد (٥/١٥٧ و ١٧١) و (١٧٥) وأبو عوانة (١/١٤٦ - ١٤٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٠٥ - ٢٠٦) والطيالسي (٤٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/٦١) عن أبي ذر رضي الله عنه.

وقد تصحف على بعضهم «نوراني» وهو خطأ لفظاً ومعنى كما حققه المصنف رحمه الله تعالى.



الله ﷺ رأى ربه، وكان قوله أنى أراه كالإنكار للرؤية حاروا في الحديث، وردة بعضهم باضطراب لفظه، وكل هذا عدول عن موجب الدليل.

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرؤية له: إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك.

وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال: إنه ﷺ رآه عز وجل، ولم يقل بعيني رأسه. ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما، ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه قوله ﷺ في الحديث الآخر: حجاب نور، فهذا النور هو، والله أعلم. النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه رأيت نوراً<sup>(١١)</sup>.

---

(١١) انظر لتفصيل هذه المسألة «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ١٩٦ - ١٩٧) والتحقيق الماتع الذي كتبه شيخنا في «مختصر العلو» (ص ٨٦ و ١١٧ - ١٢١) والصواب أن الرسول ﷺ لم ير ربه لحديث أبي ذر رضي الله عنه ويشهد له حديث ابن عمر مرفوعاً بلفظ: «يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله عز وجل» عزاه السيوطي في «الدار المنثور» (١٩١/٦) للدارقطني وما وري عن ابن عباس رضي الله عنه في هذا الباب فضيف لاضطراب ألفاظه.

## فصل

وقوله تعالى : ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾ : [ النور :  
٣٥ ] هذا مثل لنوره في قلب عبده المؤمن ، كما قال أبي بن  
كعب وغيره ، وقد اختلف في مفسر الضمير في نوره ، فقليل هو  
النبي ﷺ ، اي مثل نور محمد ﷺ ، وقيل : مفسره المؤمن . أي  
مثل نور المؤمن ، والصحيح أنه يعود على الله سبحانه وتعالى ،  
والمعنى : مثل نور الله سبحانه وتعالى في قلب عبده ، وأعظم  
عباده نصيباً من هذا النور رسوله ﷺ ، فهذا مع ما تضمنه عود  
الضمير المذكور ، وهو وجه الكلام يتضمن التقارير الثلاثة ، وهو  
أتم لفظاً ومعنى .

وهذا النور يضاف إلى الله تعالى إذ هو معطيه لعبده وواهبه  
إياه ، ويضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله ، فيضاف إلى الفاعل  
والقابل ، ولهذا النور فاعل وقابل ومحل وحال ومادة . وقد  
تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل ، فالفاعل  
هو الله تعالى مفيض الأنوار الهادي لنوره من يشاء . والقابل :  
العبد المؤمن . والمحل : قلبه ، والحال : همته وعزيمته وإرادته ،  
والمادة : قوله وعمله ، وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية  
فيه من الأسرار والمعاني ، وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن  
بما أناله من نوره ما تقر به عيون أهله ، وتبتهج به قلوبهم ، وفي  
هذا التشبيه لأهل المعاني طريقتان :

إحداهما : طريقة التشبيه المركب ، وهي أقرب مأخذاً وأسلم

من التكلف، وهي أن تشبه الجملة برمتها بنور المؤمن من غير تعرض لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبه ومقابلته بجزء من المشبه به، وعلى هذا عامة أمثال القرآن، فتأمل صفة المشكاة وهي كوة تنفذ لتكون أجمع للضوء قد وضع فيها المصباح، وذلك المصباح داخل زجاجة تشبه الكوكب الذي في صفائها وحسنها، ومادته من أصفى الأذهان وأتمها وقوداً من زيت شجرة في وسط القراح، لا شرقية ولا غربية بحيث تصيها الشمس في إحدى طرفي النهار، بل هي في وسط القراح محمية بأطرافه تصيها الشمس أعدل إصابة والأفاق الى الأطراف دونها، فمن شدة إضاءة زيتها وصفائها وحسنها يكاد يضيء من غير أن تمسه نار، فهذا المجموع المركب هو مثل نور الله تعالى الذي وضعه في قلب عبده المؤمن وخصه به .

والطريقة الثانية: طريقة التشبيه المفصل، فقبل المشكاة صدر المؤمن والزجاجة قلبه شبه قلبه بالزجاجة لرقتها وصفائها وصلابتها، وكذلك قلب المؤمن، فإنه قد جمع الأوصاف الثلاثة، فهو يرحم ويحسن ويتحنن ويشفق على الخلق برقته وبصفائه تتجلى فيه صور الحقائق والعلوم على ما هي عليه، ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء، وبصلابته يشتد في أمر الله تعالى، ويتصلب في ذات الله تعالى، ويغلظ على أعداء الله تعالى، ويقوم بالحق لله تعالى وقد جعل الله تعالى القلوب كالآنية، كما قال بعض السلف: القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها، والمصباح هو نور الإيمان في قلبه، والشجرة المباركة: هي شجرة الوحي المتضمنة للهدى ودين الحق، وهي مادة المصباح التي يتقد منها، والنور على

النور نور الفطرة الصحيحة والادراك الصحيح ، ونور الوحي الكتاب ، فينضاف أحد النورين إلى الآخر ، فيزداد العبد نوراً على نور ، ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه بالأثر ، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به ، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع والفطرة والوحي ، فيريه عقله وفطرته وذوقه الذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق لا يتعارض عنده العقل والنقل ألبتة ، بل يتصادقان ويتوافقان ، فهذا علاقة النور على النور عكس من تلاطمت في قلبه أمواج الشبه الباطلة والخيالات الفاسدة من الظنون الجهليات التي يسميها أهلها القواطع العقلية .

فهبي في صدره : ﴿ كظلمات في بحر لُجِّي يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ : [ النور : ٤٠ ] . فانظر كيف انتظمت هذه الآيات طرائق بن آدم أتم انتظام ، واشتملت عليه أكمل اشتمال ، فإن الناس قسمان : أهل الهدى والبصائر الذين عرفوا أن الحق فيما جاء به الرسول ﷺ عن الله سبحانه وتعالى ، وأن كل ما عارضه فشبهات يشته على من قل نصيبه من العقل والسمع أمرها فيظنها شيئاً له حاصل ينتفع به .

وهي ﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، أو كظلمات في بحر لُجِّي يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم

يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴿٣٩﴾ : [ النور : ٣٩ - ٤٠ ] .

وهؤلاء هم أهل الهدى ودين الحق أصحاب العلم النافع والعمل الصالح الذين صدقوا الرسول ﷺ في أخباره، ولم يعارضوها بالشبهات، وأطاعوه في أوامره ولم يضيعوها بالشهوات، فلا هم في علمهم من أهل الخوض الخراصين الذين هم في غمرة ساهون، ولا هم في عملهم من المستمتعين بخلاقهم الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون أضاء لهم نور الوحي المبين، فرأوا في نوره أهل الظلمات في ظلمات آرائهم يعمهون، وفي ضلالتهم يتهوكون، وفي ربهم يترددون، مغترين بظاهر السراب، ممحلين مجذبين مما بعث الله تعالى به رسول ﷺ من الحكمة وفصل الخطاب إن عندهم إلا نخالة الأفكار، وزبالة الأذهان التي قد رضوا بها واطمأنوا إليها، وقدموها على السنة والقرآن ﴿٤٠﴾ إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ﴿٤١﴾ أوجبه لهم اتباع الهوى ونخوة الشيطان، وهم لأجله يجادلون في آيات الله بغير سلطان .

### أقسام أهل الجهل

القسم الأول: أهل الجهل والظلم الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به والظلم باتباع أهوائهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿٤٢﴾ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴿٤٣﴾ : [ النجم : ٢٣ ]

وهؤلاء قسمان :

أحدهما: الذين يحسبون أنهم على علم وهدى، وهم أهل

الجهل والضلال، فهؤلاء أهل الجهل المركب الذين يجهلون الحق ويعادونه، ويعادون أهله، وينصرون الباطل ويوالون أهله، وهم يحسبون أنهم على شيء، إلا أنهم هم الكاذبون، فهم لا اعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة راثي السراب الذي يحسبه الظمان ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذي يخون صاحبه أحوج ما هو إليه ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان، كما هو الحال من أمّ السراب فلم يجده ماءً، بل انضاف إلى ذلك أنه وجد عنده أحكم الحاكمين أعدل العادلين سبحانه وتعالى، فحسب له ما عنده من العلم والعمل فوفاه إياه بمثاقيل الذر، وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه فجعله هباءً منثوراً، إذ لم يكن خالصاً لوجهه، ولا على سنة رسوله ﷺ، وصارت تلك الشبهات الباطلة التي كان يظنها علوماً نافعة كذلك هباءً منثوراً، فصارت أعماله وعلومه حسرات عليه.

والسراب: ما يرى في الفلاة المنبسطة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري، والقيعة: القاع هو المنبسط من الأرض الذي لا جبل فيه ولا فيه واد، فشبه علوم من لم يأخذ علومه وأعماله من الوحي بسراب يراه المسافر في شدة الحر، فيؤمه فيخيب ظنه ويجده ناراً تلظى، فهكذا علوم أهل الباطل وأعمالهم إذا حشر الناس، واشتد بهم العطش بدت لهم كالسراب، فيحسبونه ماءً، فإذا أتوه وجدوا الله عنده، فأخذتهم زبانية العذاب، فعتلوهم إلى نار الجحيم، فسقوا ماءً حميماً، فقطع أمعاءهم، وذلك الماء الذي سقوه هو تلك العلوم التي لا تنفع، والأعمال التي كانت لغير الله تعالى صيرها الله

تعالى حميماً سقاهم إياه، كما أن طعامهم من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، وهو تلك العلوم والأعمال الباطلة التي كانت في الدنيا، كذلك لا يسمن ولا يغني من جوع، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

وهم الذين عنى بقوله: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾: [الفرقان: ٢٣].

وهم الذين عنى بقوله تعالى: ﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾: [البقرة: ١٦٧].

والقسم الثاني من هذا الصنف أصحاب الظلمات، وهم المنغمسون في الجهل بحيث قد أحاط بهم من كل وجه، فهم بمنزلة الأنعام بل هم أضل سبيلاً، فهؤلاء أعمالهم التي عملوها على غير بصيرة، بل بمجرد التقليد واتباع الآباء من غير نور من الله تعالى. كظلمات جمع ظلمة. وهي: ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، وظلمة الظلم واتباع الهوى، وظلمة الشك والرَّيب، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث الله تعالى به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، والنور الذي أنزله معهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور، فإن المعرض عما بعث الله تعالى به محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق يتقلب في خمس ظلمات: قوله ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمة، وقلبه مظلم، ووجهه مظلم، وكلامه مظلم، وحاله مظلم، وإذا قابلت بصيرته الخفاشية ما بعث الله به

محمدًا ﷺ من النور جدّ في الهرب منه، وكاد نوره يخطف بصره، فهرب إلى ظلمات الآراء التي هي به انصب وأولى كما قيل:

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم  
فإذا جاء إلى زبالة الأفكار ونخالة الأذهان جال ومال، وأبدى  
وأعاد، وقعقع وفرقع، فإذا طلع نور الوحي، وشمس الرسالة  
الخنجر في حجرة الحشرات.

وقوله ﴿في بحر لحي﴾ اللحي: العميق، منسوب إلى لجة البحر وهو معظمه، وقوله تعالى: ﴿ينشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب﴾: [النور: ٤٠] تصوير لحال هذا المعرض عن وحيه، فشبه تلاطم أمواج الشبه والباطل في صدره بتلاطم أمواج ذلك البحر، وأنها أمواج بعضها فوق بعض، والضمير الأول في قوله: ﴿ينشاه﴾ راجع إلى البحر، والضمير الثاني في قوله ﴿من فوقه﴾ عائد إلى الموج، ثم إن تلك الأمواج مغطاة بسحاب، فهنا ظلمات: ظلمة البحر اللحي، وظلمة الموج الذي فوقه، وظلمة السحاب الذي فوق ذلك كله، إذا أخرج من في هذا البحر يده لم يكدرها.

واختلف في معنى ذلك، والصحيح: أنها فعل يقتضي المقاربة ولها حكم سائر الأفعال، ونفي الخبر لم يستفد من لفظها ووضعها فإنها لم توضع لنفيه، وإنما استفيد من لوازم معناها، فإنها إذا اقتضت مقاربة الفعل، لم يكن واقعاً، فيكون منفيّاً بالزوم، وأما إذا استعملت منفية، فإن كانت في كلام واحد فهي لنفي المقاربة كما إذا قلت: لا يكاد البطال يفلح، ولا يكاد



البخيل يسود، ولا يكاد الجبان يفرح، ونحو ذلك، وإن كانت في كلامين اقتضت وقوع الفعل بعد أن لم يكن مقارباً، كما قال ابن مالك فهذا التحقيق في أمرها، والمقصود أن قوله ﴿لم يكدرهاها﴾ إما أن يدل على أنه لا يقارب رؤيتها لشدة الظلمة، وهو الأظهر. فإذا كان لا يقارب رؤيتها، فكيف يراها؟ قال ذو الرمة :

إذا غير النَّائي المحبين لم يكدر  
رسيُّ الهوى من حبِّ ميّة يبرحُ

أي : لم يقارب البراح، وهو الزوال، فكيف يزول، فشبّه سبحانه أعمالهم أولاً : في فوات نفعها وحصول ضررها عليهم بسراب خداع يخدع رائيه من بعيد، فإذا جاءه وجد عنده عكس ما أمله ورجاه، وشبّهها ثانياً : في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة خالية عن نور الايمان بظلمات متراكمة في لجج البحر المتلاطم الأمواج الذي قد غشيه السحاب من فوقه، فيا له تشبيهاً ما أبدعه وأشدّ مطابقتة بحال أهل البدع والضلال، وحال من عبد الله سبحانه وتعالى على خلاف ما بعث به رسوله ﷺ، وأنزل به كتابه .

وهذا التشبيه : هو تشبيه لأعمالهم الباطلة بالمطابقة والتصريح، ولعلومهم وعقائدهم الفاسدة باللزوم، وكل واحد من السراب والظلمات مثل لمجموع علومهم وأعمالهم، فهي سراب لا حاصل لها، وظلمات لا نور فيها، وهذا عكس مثل اعمال المؤمن وعلومه التي تلقاها من مشكاة النبوة، فإنها مثل الغيث الذي به حياة البلاد والعباد، ومثل النور الذي به انتفاع أهل الدنيا

والآخرة.

ولهذا يذكر سبحانه هذين المثليين في القرآن في غير موضع لأوليائه وأعدائه كما ذكرهما في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون﴾: [ البقرة: ١٧ - ١٨ ].

شبه سبحانه وتعالى أعداءه المنافقين بقوم أوقدوا ناراً لتضيء لهم وينتفعوا بها ، فلما أضاءت لهم النار فأبصروا في ضوئها ما ينفعهم ويضرهم ، وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين ، فهم كقوم سفر ضلوا عن الطريق ، فأوقدوا النار التي تضيء لهم الطريق ، فلما أضاءت لهم ، فأبصروا وعرفوا طفئت تلك الأنوار وبقوا في الظلمات لا يبصرون ، قد سدت عليهم أبواب الهدى الثلاث ، فإن الهدى لا يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب : مما يسمعه بأذنه ، ويراها بعينه ، ويعقله بقلبه ، وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى ، فلا تسمع قلوبهم شيئاً ولا تبصره ولا تعقل ما ينفعها .

وقيل : لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم ، نزلوا بمنزلة من لا سمع له ولا بصر ولا عقل . والقولان متلازمان .

وقال في صفتهم ﴿فهم لا يرجعون﴾ لأنهم قد رأوا في ضوء النار وأبصروا الهدى ، فلما طفئت عنهم لا يرجعوا إلى ما رأوا وأبصروا .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ذهب الله بنورهم﴾ ولم يقل ذهب

بنورهم، وفيه سر بديع، وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى، فإن الله تعالى مع المؤمنين، وإن الله مع الصابرين، وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فذهب الله بذلك النور انقطاع لمعيته التي خص بها أوليائه، فقطعها بينه وبين المنافقين، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم، فليس لهم نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ وَلَا تَهِنِ مَعَهُمْ وَلَا تَحْنَبْهُمْ﴾ [التوبة: ٤٠]. ولا من ﴿كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. وتأمل قوله تعالى: ﴿أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ﴾. كيف جعل ضوءها خارجاً عنه منفصلاً، ولو اتصل ضوءها به ولا بسه لم يذهب، ولكنه كان ضوء مجاورة لا ملابسة ومخالطة، وكان الضوء عارضاً والظلمة أصلية، فرجع الضوء إلى معدنه، وبقيت الظلمة في معدنها، فرجع كل منهما إلى أصله اللائق به حجة من الله قائمة، وحكمة بالغة تعرف بها إلى أولى الألباب من عباده.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل بنارهم ليطابق أول الآية، فإن النار فيها إشراق وإحراق، فذهب بما فيها من الإشراق وهو النور، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وهو النارية.

وتأمل كيف قال ﴿بنورهم﴾ ولم يقل: بضوئهم مع قوله: ﴿فلما أضاءت ما حوله﴾ لأن الضوء هو زيادة في النور، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهاباً بالشيء وزيادته، وأيضاً فإنه أبلغ في النفي عنهم، وأنهم من أهل

الظلمات الذين لا نور لهم، وأيضاً فإن الله تعالى سمي كتابه نوراً، ورسوله ﷺ نوراً، ودينه نوراً، وهداه نوراً، ومن أسمائه النور، والصلاة نور، فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله.

وتأمل مطابقة هذا المثل لما تقدمه من قوله: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾: [البقرة: ١٦] كيف طابق هذه التجارة الخاسرة التي تضمنت حصول الضلالة والرضى بها، وبدل الهدى في مقابلتها، وحصول الظلمات التي هي الضلالة والرضى بها بدلاً عن النور الذي هو الهدى والنور، فبدلوا الهدى والنور وتعوضوا عنه بالظلمة والضلالة، فيا لها من تجارة ما أخسرها وصفقة ما أشد غبنها.

وتأمل كيف قال الله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ فوحده، ثم قال: ﴿وتركهم في ظلمات﴾ فجمعها. فإن الحور واحد وهو صراط الله المستقيم الذي لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله ﷺ لا بالأهواء والبدع وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق، بخلاف طرق الباطل، فإنها متعددة متشعبة، ولهذا يفرد سبحانه الحق، ويجمع الباطل كقوله تعالى: ﴿الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات: [البقرة: ٢٥٧].

وقال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾: [الأنعام: ١٥٣]، فجمع سبل

الباطل ووحد سبيل الحق ولا يناقض هذا قوله تعالى : ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ﴾ : [ المائدة : ١٦ ] . فإن تلك هي طرق مرضاته التي يجمعها سبيله الواحد، وصراطه المستقيم ، فإن طرق مرضاته كلها ترجع إلى صراط واحد وسبيل ، واحد ، وهي سبيله التي لا سبيل إليه إلا منها .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه خط خطأ مستقيماً وقال : « هذا سبيل الله » ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال : « هذه سُبُل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون ﴾ وقد قيل : إن هذا مثل للمنافقين ، وما يوقدونه من نار الفتنة التي يوقعونها بين أهل الاسلام ويكون بمنزلة قول الله تعالى : ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ﴾ : [ المائدة : ٦٤ ] . ويكون قوله تعالى : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ : [ البقرة : ١٧ ] مطابقاً لقوله تعالى : ﴿ أطفاها الله ﴾ . ويكون تخييرهم وإبطال ما راموه هو تركهم في ظلمات الحيرة لا يهتدون إلى التخلص مما وقعوا فيه ولا يبصرون سبيلاً ، بل هم صمُّ بكم عمي ، وهذا التقدير وإن كان حقاً ، ففي كونه مراداً بالآية نظر .

فإن السياق إنما قصد لغير ويأباه قوله تعالى : ﴿ فلما أضاءت ما حوله ﴾ وموقد نار الحرب لا يضيء ما حوله أبداً .

ويأباه قوله تعالى : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ وموقد نار الحرب لا نور له .

ويأباه قوله تعالى : ﴿ وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ . وهذا

يقتضي أنهم انتقلوا من نور المعرفة والبصيرة إلى ظلمة الشك والكفر.

ولهذا قال: ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ . أي: لا يرجعون إلى النور الذي فارقه. وقال تعالى في حق الكفار: ﴿ صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ : [ البقرة: ١٧١ ] . فسلب العقل عن الكفار إذ لم يكونوا من أهل البصيرة والإيمان، وسلب الرجوع عن المنافقين لأنهم آمنوا ثم كفروا، فلم يرجعوا إلى الإيمان.

## فصل

ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلاً آخر مائياً فقال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: [البقرة: ١٩].

فشبه نصيبهم مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ من النور والحياة بنصيب المستوقد النار التي طفئت عنه أحوج ما كان إليها، وذهب نوره وبقي في الظلمات حائراً تائهاً لا يهتدي سبيلاً، ولا يعرف طريقاً وبنصيب أصحاب الصيب، وهو المطر الذي يصب أي ينزل من علو إلى أسفل، فشبه الهدى الذي هدى به عباده بالصيب، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، ونصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق ولا نصيب له فيما وراء ذلك مما هو المقصود بالصيب من حياة البلاد والعباد والشجر والدواب، وإن تلك الظلمات التي فيه، وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب.

فالجاهل لفرط جهله يقتصر على الاحساس بما فيه الصيب من ظلمة ورعد وبرق ولوازم ذلك من برد شديد، وتعطيل مسافر عن سفره، وصانع عن صنعته، ولا بصيرة له تنفذ، إلى ما يؤول

إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام.

وهكذا شأن كل قاصر النظر، ضعيف العقل لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل محبوب، وهذه حال أكثر الخلق إلا من صحت بصيرته، فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق والتعرض لاتلاف المهجة والجراحات الشديدة، وملامة اللّوام، ومعاداة من يخاف معاداته، لم يقدم عليه لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة والغايات التي إليها تسابق المتسابقون، وفيها تنافس المتنافسون.

وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام، فلم يعلم من سفره ذلك إلا مشقة السفر، ومفارقة الأهل والوطن ومقاساة الشدائد، وفراق المألوفات، ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر ومآله وعاقبته، فإنه لا يخرج إليه ولا يعزم عليه، وحال هؤلاء حال ضعيف البصيرة والإيمان الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد والزواجر والنواهي والأوامر الشاقة على النفوس التي تفظمها عن رضاعها من ثدي المألوفات والشهوات، والفظام على الصبي أصعب شيء وأشقه، والناس كلهم صبيان العقول، إلا من بلغ مبالغ الرجال العقلاء الألباء، وأدرك الحق علماً وعملاً ومعرفة، فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق ويعلم أنه حياة الوجود. قلت: قال شيخنا<sup>(١٢)</sup>: الناس في الهدى الذي بعث الله تعالى به رسوله ﷺ أربعة أقسام. قد اشتملت عليهم هذه الآيات من أول السورة إلى هنا.

---

(١٢) أي شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله.



القسم الأول: قبلوه باطناً وظاهراً وهم نوعان:

أحدهما: أهل الفقه فيه والفهم والتعليم، وهم الأئمة الذين عقلوا عن الله تعالى كتابه وفهموا مراده، وبلغوه إلى الأمة، واستنبطوا أسراره وكنوزه، فهؤلاء مثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، فرعى الناس فيه ورعت أنعامهم، وأخذوا من ذلك الكلاً الغذاء والقوت والدواء وسائر ما يصلح لهم. النوع الثاني: حفظوه وضبطوه وبلغوا ألفاظه إلى الأمة، فحفظوا عليهم النصوص وليسوا من أهل الاستنباط والتفقه في مراد الشارع، فهم أهل حفظ وضبط وأداء لما سمعوه، والأولون أهل فهم وفقه واستنباط وإثارة لدفائنه وكنوزه، وهذا النوع الثاني بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس، فوردوه وشربوا منه وسقوا منه أنعامهم وزرعوا به.

القسم الثاني: من رده ظاهراً وباطناً وكفر به، ولم يرفع به رأساً، وهؤلاء أيضاً نوعان:

أحدهما عرفه وتيقن صحته وأنه حق، ولكن حمله الحسد والكبر وحب الرياسة والملك والتقدم بين قومه على جحده ودفعه بعد البصيرة واليقين. النوع الثاني: أتباع هؤلاء الذين يقولون هؤلاء ساداتنا وكبرائنا وهم أعلم منا بما يقبلونه وما يردونه ولنا أسوة بهم، ولا نرغب بأنفسنا عن أنفسهم، ولو كان حقاً لكانوا هم أهلهم وأولى بقبوله، وهؤلاء بمنزلة الدواب والأنعام يساقون حيث يسوقهم راعيهم، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كرة فَنَّتَبَرَأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا

كذلك يُريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم وما هم بخارجين من النار ﴿ [ البقرة: ١٦٦ - ١٦٧ ] . وقال تعالى فيهم: ﴿ يوم تُقلبُ وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ : [ الأحزاب: ٦٦ - ٦٨ ] . وقال تعالى فيهم: ﴿ وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنا كلٌّ فيها إنّ الله قد حكم بين العباد ﴾ : [ غافر: ٤٧ - ٤٨ ] . وقال فيهم: ﴿ هذا فيلذوقوه حميمٌ وغساقٌ وآخرٌ من شكله أزواجٌ هذا فوجٌ مقتحمٌ معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدّمتموه لنا فبئس القرار ﴾ : [ ص: ٥٧ - ٦٠ ] . أي سنتموه لنا وشرعتموه . ﴿ قالوا ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار ﴾ : [ ص: ٦١ ] ، فقولهم: ﴿ لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار ﴾ أي داخلوها كما دخلناها، ومقاسون عذابها كما نقاسيه، فأجابهم الأتباع وقالوا: ﴿ بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدّمتموه لنا ﴾ .

وفي الضمير قولان:

أحدهما: أنه ضمير الكفر والتكذيب ورد قول الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، واستبدال غيره به، والمعنى أنتم زينتُم لنا الكفر ودعوتُمونا إليه، وحسنتُموه لنا، وقيل: على هذا القول إنه قول الأمم المتأخرين للمتقدمين، والمعنى على هذا أنتم شرعتم لنا تكذيب الرسل، ورد ما جاءوا به، والشرك بالله

سبحانه وتعالى'. أي بدأتم به وتقدمتمونا إليه، فدخلتم النار قبلنا، فبئس القرار. أي بئس المستقر والمنزل.

والقول الثاني: أن الضمير في قوله: ﴿أنتم قدمتموه﴾ لنا ضمير العذاب وصلي النار، والقولان: متلازمان وهما حق.

وأما القائلون: ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾: [ص: ٦١] فيجوز أن يكون الاتباع دعوا على ساداتهم وكبرائهم وأئمتهم به، لأنهم الذين حملوهم عليه ودعوهم إليه، ويجوز أن يكون جميع أهل النار سألوا ربهم أن يزيد من سنّ لهم الشرك وتكذيب الرسل صلى الله عليهم وسلم ضعفاً وهم الشياطين.

القسم الثالث: الذين قبلوا ما جاء به الرسول ﷺ وآمنوا به ظاهراً وجحدوه وكفروا به باطناً، وهم المنافقون الذين ضرب لهم هذان المثالان بمستوقد النار وبالصيّب، وهم أيضاً نوعان:

أحدهما: من أبصر ثم عمي، وعلم ثم جهل، وأقرّ ثم أنكر، وآمن ثم كفر، فهؤلاء رؤوس أهل النفاق وساداتهم وأئمتهم، ومثلهم مثل من استوقد ناراً ثم حصل بعدها على الظلمة.

والنوع الثاني: ضعفاء البصائر الذين أغشى بصائرهم ضوء البرق، فكاد أن يخطفها لضعفها وقوته، وأصم اذنه صوت الرعد، فهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ولا يقربون من سماع القرآن والإيمان، بل يهربون منه ويكون حالهم حال من يسمع الرعد الشديد. فمن شدة خوفه منه يجعل أصابعه في أذنه، وهذه حال كثير من خفافيش البصائر في كثير من

نصوص الوصي ، وإذا وردت عليه مخالفة لما تلقاه عن أسلافه وذوي مذهبه ، ومن يحسن به الظن ورآها مخالفة لما عنده عنهم هرب من النصوص ، وكره من يسمعه إياها ، ولو أمكنه لسد أذنيه عند سماعها ، ويقول : دعنا من هذه ، ولو قدر لعاقب من يتلوها ويحفظها وينشرها ويعلمها ، فإذا ظهر له منها ما يوافق ما عنده مشى فيها وانطلق ، فإذا جاءت بخلاف ما عنده أظلمت عليه فقام حائراً لا يدري أين يذهب ، ثم يعزم له التقليد وحسن الظن برؤسائه وسادته على اتباع ما قالوه دونها ، ويقول مسكين الحال : هم أخبر بها مني وأعرف .

فيا لله العجب ، أوليس أهلها ، والذابون عنها ، والمنتصرون لها ، والمعظمون لها ، والمخالفون لأجلها آراء الرجال المقدمون لها على ما خالفها أعرف بها أيضاً منك وممن اتبعته ، فلما كان من خالفها وعزلها عن اليقين ، وزعم أن الهدى والعلم لا يستفاد منها وإنما أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين ، ولا يجوز أن يحتج بها على مسألة واحدة من مسائل التوحيد والصفات ويسميها الظواهر النقلية ، ويسمى ما خالفها القواطع العقلية ، فلما كان هؤلاء أحق بها وأهلها ، وكان أنصارها والذابون عنها والحافظون لها هم أعداؤها ومحاربوها ، ولكن هذه سنة الله في أهل الباطل إنهم يعادون الحق وأهله وينسبونهم إلى معاداته ومحارباته ، كالرافضة الذين عادوا أصحاب النبي ﷺ ، بل وأهل بيته ونسبوا أتباعه وأهل سنته إلى معاداته ومعاداة أهل بيته ، وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون .

والمقصود أن هؤلاء المنافقين قسمان : أئمة وسادة يدعون إلى النار وقد مردوا على النفاق ، وأتباع لهم بمنزلة الأنعام

والبهائم، فأولئك زنادقة مستبصرون، وهؤلاء زنادقة مقلدون، فهؤلاء أصناف بني آدم في العلم والإيمان، ولا يجاوز هذه السنة اللهم إلا من أظهر الكفر وأبطن الإيمان، كحال المستضعف بين الكفار الذي تبين له الإسلام، ولم يمكنه المهاجرة بخلاف قومه، ولم يزل هذا الضرب في الناس على عهد رسول الله ﷺ وبعده، وهؤلاء عكس المنافقين من كل وجه.

وعلى هذا فالناس: إما مؤمن ظاهراً وباطناً، وإما كافر ظاهراً وباطناً، أو مؤمن ظاهراً كافر باطناً، أو كافر ظاهراً مؤمن باطناً، والأقسام الأربعة قد اشتمل عليها الوجود، وقد بين القرآن أحكامها. فالأقسام الثلاثة الأولى ظاهرة، وقد اشتمل عليها أول سورة البقرة.

وأما القسم الرابع ففي قوله تعالى: ﴿فلولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم﴾: [الفتح: ٢٥]. فهؤلاء كانوا يكتمون إيمانهم في قومهم ولا يتمكنون من إظهاره، ومن هؤلاء مؤمن آل فرعون كان يكتم إيمانه، ومن هؤلاء النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ، فإنه كان ملك النصراني بالحبشة، وكان في الباطن مؤمناً، وقد قيل إنه وأمثاله الذين عناهم الله عز وجل بقوله: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً﴾: [آل عمران: ١٩٩]. وقوله تعالى: ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون

عن المنكر ويسارعون في الخيرات واؤلئك من الصالحين ﴿: [ آل عمران : ١١٣ - ١١٤ ] .

فإن هؤلاء ليس المراد بهم التمسك باليهودية والنصرانية بعد محمد ﷺ قطعاً، فإن هؤلاء قد شهد لهم بالكفر وأوجب لهم النار، فلا يثني عليهم بهذا الثناء، وليس المراد به من آمن به من أهل الكتاب ودخل في جملة المؤمنين وباين قومه، فإن هؤلاء لا يطلق عليهم إنهم من أهل الكتاب الا باعتبار ما كانوا عليه، وذلك الاعتبار قد زال بالإسلام، واستحدثوا اسم المسلمين والمؤمنين، وانما يطلق الله سبحانه هذا الاسم على من هو باق على دين أهل الكتاب. هذا هو المعروف في القرآن كقوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾: [ آل عمران : ٧٠ ] . ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾: [ آل عمران : ٦٤ ] . ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم﴾: [ آل عمران : ٦٥ ] . ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾: [ البقرة : ١٤٤ ] ونظائره .

ولهذا قال جابر بن عبدالله . وعبدالله بن عباس . وأنس بن مالك . والحسن . وقتادة إن قوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم﴾: [ آل عمران : ١٩٩ ] إنها نزلت في النجاشي زاد الحسن وقتادة: وأصحابه .

عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اخرجوا فصلوا على أخيكم». فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات، فقال: «هذا النجاشي أضحمة». فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علع نصراني لم يره قط، فأنزل الله تعالى: ﴿وإن من أهل

الكتاب لمن يؤمن بالله ﴿﴾ : [ آل عمران : ١٩٩ ] .

والمقصود أن الأقسام الأربعة قد ذكرها الله تعالى في كتابه وبين أحكامها في الدنيا وأحكامها في الآخرة، وقد تبين أن أحد الأقسام من آمن ظاهراً وكفر باطناً وأنهم نوعان رؤساؤهم وساداتهم وأتباعهم ومقلدوهم، وعلى هذا فأصحاب المثل الأول الناري شر من أصحاب المثل الثاني المائي، كما يدل السياق عليه .

وقد يقال وهو أولى أن المثليين لسائر النوع، وإنهم قد جمعوا بين مقتضى المثل الأول من الإنكار بعد الإقرار والحصول في الظلمات بعد النور ومقتضى المثل الثاني من ضعف البصيرة في القرآن وسد الأذان عند سماعه والاعراض عنه، فإن المنافقين فيهم هذا وهذا، وقد يكون الغالب على فريق منهم المثل الأول، وعلى فريق منهم المثل الثاني .

وقد اشتمل هذان المثلان على حكم عظيمة :

منها أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة، وهكذا المنافق لما أقر بلسانه من غير اعتقاد ومحبة بقلبه وتصديق جازم كان ما معه من النور كالمستعار . ومنها: أن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة تحمله، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع، والعمل الصالح يقوم بها، ويدوم بدوامها، فإذا ذهبت مادة الإيمان طفئ كما تطفأ النار بفراغ مادتها .

ومنها: أن الظلمة نوعان: ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور

وظلمة حادثة بعد النور وهي أشد الظلمتين وأشقهما على ما كانت حظه، فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة، فمثلت حاله بحال المستوقد للنار الذي حصل في الظلمة بعد الضوء، وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط. ومنها: أن في هذا المثل إيذاناً وتنبهاً على حالهم في الآخرة، وأنهم يعطون ناراً ظاهراً كما كان نورهم في الدنيا ظاهراً، ثم يطفأ ذلك النور أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله، ويبقون في الظلمة على الجسر لا يستطيعون العبور، فإنه لا يمكن أحداً عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح وإلا ذهب الله تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه، فطابق مثلهم في الدنيا بحالتهم التي هم عليها في هذه الدار وبحالتهم يوم القيامة عندما يقسم، ومن ههنا يعلم السر في قوله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾: [البقرة: ١٧] ولم يقل: أذهب الله نورهم، فإن أردت زيادة بيان وإيضاح، فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه<sup>(١٣)</sup> من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقد سئل عن الورود، فقال: نجى نحن يوم القيامة على تل فوق الناس قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا تبارك وتعالى بعد ذلك فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك. قال: فينطلق بهم فيتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فينجو أول زمرة وجوهم

(١٣) انظر شرح مسلم للنووي (٤٧/٣ - ٤٨ - )، وأحمد (٣/٣٤٥ و ٣٨٣).



كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء وذكر باقي الحديث.

فتأمل قوله: فينطلق فيتبعونه ويعطى كل إنسان منهم نوراً المنافق والمؤمن، ثم تأمل قوله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾: [البقرة: ١٧]. وتأمل حالهم إذا طفت أنوارهم، فبقوا في الظلمة، وقد ذهب المؤمنون في نور إيمانهم يتبعون ربهم عز وجل.

وتأمل قوله ﷺ في حديث الشفاعة<sup>(١٤)</sup>: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد»، فيتبع كل مشرك إلهه الذي كان يعبد، والموحد الحقيقي بأن يتبع الإله الحق الذي كان كل معبود سواه باطل، وتأمل قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾: [القلم: ٤٢]. وذكر هذه الآية في حديث الشفاعة<sup>(١٤)</sup> في هذا الموضع، وقوله في الحديث<sup>(١٤)</sup>: «فيكشف عن ساقه» وهذه الإضافة يتبين المراد بالساق المذكور في الآية، وتأمل ذكر الانطلاق واتباعه سبحانه بعد هذا، وذلك يفتح لك باباً من أسرار التوحيد وفهم القرآن، ومعاملة الله سبحانه وتعالى لأهل توحيده الذين عبدوه وحده، ولم يشركوا به شيئاً، هذه المعاملة التي عامل بمقابلتها أهل الشرك حيث ذهبت كل أمة مع

(١٤) أخرجه البخاري (٤٢٠/١٣ - الفتح)، ومسلم (٢٦/٣ - نووي) واللفظ له وأحمد (١٦/٣)، وأبو عوانه (١٦٦/١ و ١٨٠ - ١٨١) وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٠٧ - ٣٠٨) والطيالسي (٢٢٢/٢ - منحة المعبود) وغيرهم.

معبودها، فانطلق بها واتبعته إلى النار، وانطلق المعبود الحق  
واتبعه أولياؤه وعابده، فسبحان الله رب العالمين الذي قرت  
عيون أهل التوحيد به في الدنيا والآخرة، وفارقوا الناس فيه أحوج  
ما كانوا إليهم.

ومنها: أن المثل الأول متضمن لحصول الظلمة التي هي  
الضلال والحيرة التي ضدها الهدى، والمثل الثاني متضمن  
لحصول الخوف الذي ضده الأمن فلا هدى ولا أمن: ﴿الذين  
آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾:  
[ الأنعام: ٨٢ ].

قال ابن عباس وغيره من السلف: مثل هؤلاء في نفاقهم  
كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مغارة فاستضاء ورأى ما  
حوله فأنقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي في  
ظلمة خائفاً متحيراً، كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان آمنوا  
على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم  
الغنائم فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف.

قال مجاهد: إضاءة النار لهم إقبالهم إلى المسلمين  
والهدى، وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة. وقد  
فسرت تلك الاضاءة وذهاب النور بأنها في الدنيا، وفسرت  
بالبرزخ وفسرت بيوم القيامة، والصواب أن ذلك شأنهم في الدور  
الثلاثة، فإنهم لما كانوا كذلك في الدنيا جوزوا في البرزخ، وفي  
القيامة بمثل حالهم جزاء وفاقاً: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾:  
[ فصلت: ٤٦ ]، فإن المعاد يعود على العبد فيه ما كان حاصلاً  
له في الدنيا ولهذا يسمى يوم الجزاء ﴿ومن كان في هذه أعمى

فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً ﴿: [الاسراء: ٧٢] .  
﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾: [مريم: ٧٦] . ومن كان  
مستوحشاً مع الله بمعصيته إياه في هذه الدار فوحشته معه في  
البرزخ يوم المعاد أعظم وأشد، ومن قرت عينه به في هذه الحياة  
الدنيا قرت عينه به يوم القيامة وعند الموت ويوم البعث، فيموت  
العبد على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه، ويعود عليه  
عمله بعينه، فينعم به ظاهراً وباطناً، فيورثه من الفرح والسرور  
واللذة والبهجة وقرة العين والنعيم وقوة القلب واستبشاره وحياته  
وانشراحه واغتباطه ما هو من أفضل النعيم وأجله وأطيبه وألذّه .  
وهل النعيم إلا طيب النفس، وفرح القلب وسروره وانشراحه  
واستبشاره هذا، وينشأ له من أعماله ما تشتهي نفسه، وتلذ عينه  
من سائر المشتهيات التي تشتهيها الأنفس وتلذها الأعين، ويكون  
تنوع تلك المشتهيات وكمالها وبلوغها مرتبة الحسن والموافقة  
بحسب كمال عمله ومتابعته فيه وإخلاصه وبلوغه مرتبة الإحسان  
فيه وبحسب تنوعه، فمن تنوعت أعماله المرضية المحبوبة له في  
هذه الدار تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار، وتكثرت  
له بحسب تكثر أعماله هنا، وكان مزيده بتنوعها والابتهاج بها  
والالتذاذ هناك على حسب مزيده من الأعمال وتنوعه فيها في هذه  
الدار.

وقد جعل الله سبحانه لكل عمل من الأعمال المحبوبة له  
والمسخوطة أثراً وجزاء ولذة وألماً يخصه لا يشبه أثر الآخر  
وجزاه، ولهذا تنوعت لذات أهل الجنة، وآلام أهل النار، وتنوع  
ما فيهما من الطيبات والعقوبات، فليست لذة من ضرب في كل  
مرضاة الله بسهم، وأخذ منها بنصيب كلذة من أنمي سهمه

ونصيبه في نوع واحد منها، ولا ألم من ضرب في كل مسخوط  
لله بنصيب وعقوبته كآلم من ضرب بسهم واحد في مساخطه  
كشفت من جنسها، وهذا الباب يفتح لك أبواباً عظيمة من فهم  
المعاد، وتفاوت الناس في أحواله، وما يجري فيه من الأمور.

فمنها خفة حمل العبد على ظهره وثقله إذا قام من قبره، فإنه  
بحسب خفة وزره وثقله. **إِنْ خَفَّ خَفَّ ، وَإِنْ ثَقُلَ ثَقُلَ .**

ومنها استظلاله بظل العرش أو سخاؤه للحر والشمس إن  
كان له من الأعمال الصالحة الخالصة والإيمان مما يظله في هذه  
الدار من حر الشرك، والمعاصي والظلم استظل هناك في ظل  
أعماله تحت عرش الرحمن، وإن كان ضاحياً هنا للمعاصي  
والمخالفات والبدع والفجور ضحى هناك للحر الشديد.

ومنها طول وقوفه في الموقف ومشقته عليه وتهوينه عليه إن  
طال وقوفه في الصلاة ليلاً ونهاراً لله، وتحمل لأجله المشاق في  
مرضاته وطاعته خف عليه الوقوف في ذلك اليوم، وسهل عليه،  
وإن أثر الراحة هنا والدعة والبطالة والنعمة طال عليه الوقوف  
هناك واشتدت مشقته عليه، وقد أشار الله تعالى: إلى ذلك في  
قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا فاصبر لحكم ربك ولا  
تطع منهم آثماً أو كفوراً واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ومن  
الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً إن هؤلاء يحبّون العاجلة  
ويذرون وراءهم يوماً ثقیلاً﴾: [ الانسان: ٢٣ - ٢٧ ]. فمن سبح  
الله ليلاً طويلاً لم يكن ذلك اليوم ثقیلاً عليه، بل كان أخف شيء  
عليه.

ومنها أن ثقل ميزانه هناك بحسب تحمل ثقل عمل الحق في هذه الدار لا بحسب مجرد كثرة الأعمال، وإنما يثقل الميزان باتباع الحق والصبر عليه وبذله إذا سئل، وأخذه إذا بذل، كما قال الصديق في وصيته لعمر رضي الله عنهما: واعلم ان الله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وله حق بالنهار لا يقبله بالليل. واعلم انه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق، وثقل ذلك عليهم، ولا يستضيء به غيره، ولا يمشي أحد إلا في نور نفسه إن كان له نور مشى في نوره، وإن لم يكن له نور أصلاً لم ينفعه نور غيره، ولما كان المنافق في الدنيا قد حصل له نور ظاهر غير مستمر ولا متصل بباطنه ولا له مادة من الإيمان أعطي في الآخرة نوراً ظاهراً لا مادة له، ثم يطفأ عنه أحوج ما كان إليه.

ومنها: أن مشيهم على الصراط في السرعة والبطء بحسب سرعة سيرهم وبطئه على صراط الله المستقيم في الدنيا، فأسرعهم سيراً هنا أسرعهم هناك، وأبطأهم هنا أبطأهم هناك، وأشدهم ثباتاً على الصراط المستقيم هنا أثبتهم هناك، ومن خطفته كلاليب الشهوات والشبهات والبدع المضلة هنا خطفته الكلاليب التي كأنها شوك السعدان هناك ويكون تأثير كلاليب الشهوات والشبهات والبدع فيه ها هنا، فجاج مسلم ومخدوش مسلم ومخردل (أي مقطوع بالكلاليب مكردس في النار) كما أثر فيهم تلك الكلاليب في الدنيا جزاء وفاقاً، وما ريك بظلام للعبيد. والمقصود أن الله تبارك وتعالى ضرب لعباده المثليين المائي والناري في سورة البقرة، وفي سورة الرعد وفي سورة النور لما تضمن المثلان من الحياة والاضاءة، فالمؤمن حي القلب مستنيره، والكافر والمنافق ميت القلب مظلمه، وقال الله

تعالى: ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾: [ الأنعام: ١٢٢ ]. وقال تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾: [ فاطر: ١٩ - ٢٣ ]، فجعل من اهتدى بهداه واستنار بنوره بصيراً حياً في ظل يقيه من حر الشبهات والضلال والبدع والشرك مستنيراً بنوره، والآخر أعمى ميتاً في حر الكفر والشرك والضلال منغمساً في الظلمات، وقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾: [ الشورى: ٥٢ ].

فسمى وحيه روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح التي هي الحياة في الحقيقة، ومن عدمها فهو ميت لا حي، والحياة الأبدية السرمدية في دار النعيم هي ثمرة حياة القلب بهذا الروح الذي أوحى إلى رسوله ﷺ، فمن لمن يحيا به في الدنيا فهو ممن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، وأعظم الناس حياة في الدور الثلاث دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الجزاء أعظمهم نصيباً من الحياة بهذه الروح، وسماه روحاً في غير موضع من القرآن كقوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق﴾: [ غافر: ١٥ ]. وقال تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان انذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾: [ النحل: ٢ ].

وسماه نوراً لما يحصل به من استنارة القلوب وإضاءةتها، وكمال الروح بهاتين الصفتين بالحياة والنور ولا سبيل إليهما إلا

على أيدي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والاهتداء بما بعثوا به، وتلقي العلم النافع والعمل الصالح من مشكاتهم، وإلا فالروح ميتة مظلمة، وإن كان العبد مشاراً إليه بالزهد والفقهِ والفضيلة والكلام في البحوث، فإن الحياة والاستنارة بالروح الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ، وجعله نوراً يهدي به من يشاء من عباده وراء ذلك كله، فليس العلم كثرة النقل والبحث والكلام، ولكن نور يميزه صحيح الأقوال من سقيمها وحققها من باطلها، وما هو من مشكاة النبوة مما هو من آراء الرجال، ويميز النقد الذي عليه سكة أهل المدينة النبوية الذي لا يقبل الله عز وجل ثمناً لجنته سواء من النقد الذي عليه سكة جنكسخان ونوابه من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة وكل من اتخذ لنفسه سكة وضرباً ونقداً يروجه بين العالم، فهذه الأثمان كلها زيوف لا يقبل الله سبحانه وتعالى في ثمن جنته شيئاً منها، بل ترد على عاملها أحوج ما يكون إليها، وتكون من الأعمال التي قَدِمَ الله تعالى عليها: فجعلها هباءً منثوراً ولصاحبها نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ : [ الكهف : ١٠٣ - ١٠٤ ] .

وهذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عز وجل، أو على غير سنة رسول الله ﷺ، وحال أرباب العلوم والأنظار التي لم يتلقوها عن مشكاة النبوة، ولكن تلقوها عن زبالة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم، فاتعبوا قواهم وأفكارهم وأذهانهم في تقرير آراء الرجال والانتصار لهم وفهم ما قالوه وبثه في المجالس والمحاضر وأعرضوا عما جاء الرسول ﷺ صفحاً، ومن به رمق

منهم يعيره أدنى التفات طلباً للفضيلة، وإما تجريد اتباعه وتحكيمه وتفريغ قوى النفس في طلبه وفهمه وعرض آراء الرجال عليه، ورد ما يخالفه منها، وقبول ما وافقه، ولا يلتفت إلى شيء من آرائهم وأقوالهم إلا إذا أشرقت عليها شمس الوحي، وشهد لها بالصحة، فهذا أمر لا تكاد ترى أحداً منهم يحدث به نفسه فضلاً عن أن يكون أخيته ومطلوبه، وهذا الذي لا ينجي سواه، فوارحمتا لعبد شقي في طلب العلم، واستفرغ فيه قواه، واستعد فيه أوقاته، وأثره على ما الناس فيه، والطريق بينه وبين رسول الله ﷺ مسدود، وقلبه عن المرسل سبحانه وتعالى وتوحيده والإجابة إليه والتوكل عليه والتنعم بحبه والسرور بقربه مطرود ومصدود، وقد طاف عمره كله على أبواب المذاهب فلم يفز إلا بأخس المطالب، سبحانه الله إن هي والله إلا فتنة أعمت القلوب عن واقع رشدها، وحيرت العقول عن طرق قصدتها، تَرَبَّى فِيهِ الصَّغِيرُ وَهَرَمَ عَلَيْهِ الْكَبِيرُ، فَظَنَّتْ خَفَافِيشُ الْأَبْصَارِ أَنَّهَا الْغَايَةُ الَّتِي تَسَابِقُ إِلَيْهَا الْمَتَسَابِقُونَ، وَالنَّهَائِيَةُ الَّتِي تَتَنَافَسُ فِيهَا الْمَتَنَافِسُونَ وَهِيَ هَاتِ أَيْنَ الظَّلَامِ مِنَ الضِّيَاءِ؟! وَأَيْنَ الثَّرَى مِنَ كُوبِ الْجُوزَاءِ؟؟ وَأَيْنَ الْحُرُورَ مِنَ الظَّلَالِ؟! وَأَيْنَ طَرِيقَةَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ مِنْ طَرِيقَةَ أَصْحَابِ الشَّمَالِ؟! وَأَيْنَ الْقَوْلَ الَّذِي لَمْ تَضْمَنْ لَنَا عَصْمَةَ قَائِلُهُ بِدَلِيلٍ مَعْلُومٍ مِنَ النُّقْلِ الْمَصْدُوقِ عَنِ الْقَائِلِ الْمَعْصُومِ؟! وَأَيْنَ الْعِلْمَ الَّذِي سَنَدُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، عَنِ جَبْرَائِيلَ ﷺ، عَنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ الْخَوْضِ الْخَرِصِ الَّذِي سَنَدُهُ شَيْوْخُ الضَّلَالِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ وَفَلَافِسَةِ الْمَشَائِينِ؟! بَلْ أَيْنَ الْأَرَاءِ الَّتِي أَعْلَى دَرَجَاتِهَا أَنْ تَكُونَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ سَائِغَةَ الْإِتْبَاعِ إِلَى النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ الْوَاجِبِ عَلَيَّ



كل مسلم تحكيها والتحاكم اليها في موارد النزاع؟! وأين الآراء التي نهى قائلها عن تقليده فيها وحض على النصوص التي فُرضَ على كل عبد أن يهتدي بها ويتبصر؟! وأين الأقوال والآراء التي اذا مات أنصارها والقائمون بها فهي من جملة الأموات إلى النصوص التي لا تزول إلا إذا زالت الأرض والسموات؟!!

لقد استبان والله الصبح لمن له عينان ناظرتان، وتبين الرشد من الغي لمن له أذنان واعيتان، لكن عصفت على القلوب أهوية البدع والشبهات والآراء المختلفة فأطفأت مصابيحها، وتحكمت فيها أيدي الشهوات فأغلقت أبواب رشدتها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها وتقليدها لآراء الرجال. فلم تجد حقائق القرآن والسنة فيها منفذاً، وتمكنت فيها اسقام الجهل والتخليط، فلم تنتفع معها بصالح الغذاء.

واعجباً جعلت غذاءها من هذه الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولم تقبل الاغتذاء بكلام الله تعالى ونص نبيه المرفوع.

واعجباً كيف اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطأ فيها والصواب، وعجزت عن الاهتداء بمطالع الأنوار ومشارقتها من السنة والكتاب، فأقرت بالعجز عن تلقي الهدى والعلم من مشكاة السنة والقرآن، ثم تلقته من رأي فلان ورأي فلان.

سبحان الله! ماذا حَرَمَ المعرضون عن نصوص الوحي واقتباس الهدى من مشكاتها من الكنوز والذخائر؟! وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر؟! قنعوا بأقوال استنبطوها بمعاول الآراء فكراً، وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زبراً، وأوحى

بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً، درست معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودرثت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، ووقعت أعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها، وأفلت كواكبه من آفاقهم فليسوا يبصرونها، وكسفت شمسها عند اجتماع ظلم آرائهم وعقدها: فليسوا يثبتونها، خلعوا نصوص الوحي من سلطان الحقيقة، وعزلوها عن ولاية اليقين، وشنوا عليها غارات التحريف بالتأويلات الباطلة، فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم المخدولة كمين بعد كمين، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لثام، فعاملوها بغير ما يليق بها من الاجلال والاكرام، وتلقوها من بعيد ولكن بالدفع في صدورهما والاعجاز، وقالوا ما لك عندنا من عبور، وإن كان لا بد فعلى سبيل المجاز، أنزلوا النصوص منزلة الخليفة العاجز في هذه الأزمان له السكة والخطبة وما له حكم نافذ ولا سلطان، حرموا والله الوصول بخروجهم عن منهج الوحي وتضييع الأصول، وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها، فخانتهم أحرص ما كانوا عليها، وتقطعت بهم أسبابهم أحوج ما كانوا إليها، حتى إذا بُعِثَ ما في القبور، وحُصِّلَ ما في الصدور، وتَمَيَّزَ لكل قوم حاصلهم الذي حصلوه، وانشكفت لهم حقيقة ما اعتقدوه، وقَدِمُوا على ما قَدَّمُوهُ، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، وسقط في أيديهم عند الحصاد لما عاينوا غلة ما بذروه. فيا شدة الحسرة عندما يعاين المبطل سعيه وكده هباءً منثوراً، ويا عظم المصيبة عندما تبين بوارق آماله وأمانيه خلباً وغروراً، فما ظن من الظوت سريرته على البدعة والهوى والتعصب للآراء بربه سبحانه وتعالى يوم تبلى السرائر، وما عُذِرُ

من نبد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وراء ظهره في يوم لا ينفع فيه الظالمين المعاذر؟! أفيظن المعرض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن ينجو غداً بأراء الرجال، ويخلص من مطالبة الله تعالى له بكثرة البحوث والجدال، أو ضروب الأقيسة وتنوع الأشكال، أو بالشطحات والمشارت وأنواع الخيال، هيهات! والله لقد ظن أكذب الظن ومنى نفسه أبين المحال، وإنما ضمنت النجاة لمن حَكَمَ هدي الله تعالى على غيره، وتزود التقوى، وأتم بالدليل، وسلك الصراط المستقيم، واستمسك من التوحيد واتباع الرسول ﷺ، بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم.

## فصل

وملاك السعادة والنجاة والفوز بتحقيق التوحيد للذين عليهما مدار كتاب الله تعالى، وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ، وإليهما دعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أولهم إلى آخرهم.

أحدهما: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته والاخلاص له، وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه، والرضى به رباً وإلهاً وولياً، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء.

وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص وهما سورة: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾: [الكافرون: ١] المتضمنة للتوحيد العملي الإرادي.

وسورة ﴿قل هو الله أحد﴾: [الإخلاص: ١] المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري.

فسورة: ﴿قل هو الله أحد﴾: [فيها بيان ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وبيان ما يجب تنزيهه من النقائص والأمثال.

وسورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، فيها إيجاب عبادته وحده لا

شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه، ولا يتم أحد التوحيدين إلا بالآخرة، ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر<sup>(١٥)</sup> والمغرب<sup>(١٦)</sup> والوتر<sup>(١٧)</sup>. اللتين هما فاتحة العمل وخاتمته ليكون مبدأ النهار توحيداً وخاتمته توحيداً.

فالتوحيد العلمي الخبري له ضدان: التعطيل والتشبيه والتمثيل، فمن نفى صفات الرب عز وجل وعطلها كَذَّبَ تعطيله توحيداً، ومن شبهه بخلقه ومثله بهم كَذَّبَ تشبيهه وتمثيله توحيداً.

والتوحيد الإرادي العملي له ضدان: الإعراض عن محبته والإنابة إليه والتوكل عليه والإشراك به في ذلك، واتخاذ أوليائه شفعاء من دونه.

وقد جمع سبحانه وتعالى بين التوحيدين في غير موضع من القرآن. فمنها قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون﴾: [ البقرة: ٢١ - ٢٢ ]. ومنها قوله تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الليل تسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضلٍ على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تؤفكون كذلك يُؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله

(١٥) كما في الصحيحين .

(١٦) كما في مسند أحمد بسند صحيح .

(١٧) كما في سنن النسائي ومستدرک الحاكم وصححه وهو كما قال .

الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴿: [ غافر: ٦١ - ٦٥ ] . ومنها قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرجُ إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم﴾: [ السجدة: ٤ - ٦ ] .

اثبات استواء الرب على العرش بالآيات القرآنية وتأمل ما هذه الآيات من الرد على طوائف المعطلين والمشركين فقوله: ﴿خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾، يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم، وإنه لم يذل، وإن الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيتته، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً غير مخلوق، كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعهما من الملاحدة الجاحدين لما اتفقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، والكتب وشهدت به العقول والفطر.

وقوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾، يتضمن إبطال قول المعطلة والجمعة الذين يقولون: ليس على العرش شيء سوى العدم، وإن الله ليس مستوياً على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يصعد إليه الكلم الطيب، ولا رفع المسيح عليه الصلاة والسلام، ولا عرج برسوله محمد ﷺ، ولا تعرج الملائكة

والروح إليه، ولا ينزل من عنده جبريل عليه الصلاة والسلام ولا غيره، ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا، ولا يخافه عبادة من الملائكة وغيرهم من فوقهم، ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عياناً بأبصارهم من فوقهم، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه النبي ﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إلى الناس ويقول: «اللهم اشهد».

هذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء مما هو نص في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء وإنه فوق العرش فوق السماوات مستوعب على عرشه مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤ - ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَدْبُرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣]. فذكر التوحيد في هذه الآية .

وقوله تعالى : ﴿تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى﴾ : [ طه ٤ - ٥ ] . وقوله تعالى : ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئله خيراً﴾ : [ الفرقان : ٥٨ - ٥٩ ] .

وقوله تعالى : ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ : [ الحديد : ٤ ] .

وقوله تعالى : ﴿أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ، أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعملون كيف نذير﴾ : [ الملك : ١٦ ] .

وقوله تعالى : ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السماوات فاطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً﴾ : [ غافر : ٣٦ - ٣٧ ] .

قال : أبو الحسن الأشعري<sup>(١٨)</sup> : «فقد احتج بهذه الآية على الجهمية فكذب فرعون موسى عليه السلام في قوله : «إن الله فوق السماوات» .

---

(١٨) راجع «الإبانة عن أصول الديانة» (ص ١٠٦) وقد ذكرت أقوال أهل العلم في هذه الآية في كتابي : «أين الله : دفاع عن حديث الجارية رواية ودراسة» (ورقة ٧٣ - ٦٧) .



وأما الأحاديث فمنها قصة المعراج وهي متواترة،<sup>(١٩)</sup> وتجاوز النبي صلى الله عليه وسلم السماوات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تعالى فقربه وأدناه وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة فلم يزل بين موسى عليه السلام وربه تبارك وتعالى، وينزل من عند ربه تعالى إلى عند موسى فيسأله كم فرض عليك فيخبره فيقول: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف.

ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وتغنم أموالهم، قال ﷺ: «لقد حكمت فيهم يحكم الملك من فوق سبع أرقعة» وفي لفظ: «من فوق سبع سماوات»<sup>(٢٠)</sup>.

(١٩) لاشك في تواتر أصل القصة، وأما تفاصيلها ففيها الصحيح الطيب الكثير، وفيها ما هو دون ذلك، وقد استقصى الحافظ ابن كثير رحمه الله كثيراً من طرقها فجمع فأوعى وصرح بتواتر الروايات في حديث الاسراء والمعراج. وممن جرح بتواترها:

١ - شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٣/١٧٤).

٢ - السيوطي في كتابه «الآية الكبرى في المعراج والاسراء» و«الأزهار المتناثرة».

٣ - الزبيدي في كتابه «لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة» (ص ٢٢٤).

٤ - والكتاني في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر (ص ١٣٢ - ١٣٣).

٥ - شيخنا محمد ناصر الدين الالباني في «مختصر العلو» للذهبي (ص ٩٠).

(٢٠) أصل الحديث في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه دون قوله «من فوق سبع سماوات».

وهذه الزيادة أخرجها البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٢٩) والنسائي في =

وقال ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء مساء وصباحاً»<sup>(٢١)</sup>.

عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: لطمت جارية لي فأخبرت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «بل ائتي بها» قال: فجئت بها رسول الله ﷺ فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «فمن أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «اعتقها فإنها مؤمنة»<sup>(٢٢)</sup>.

وعن عبدالله عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض

---

«الكبرى» (٢٩٣/٣ - تحفة الأشراف) من طريق محمد بن صالح التمار عن سعد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه وذكره قلت: وهذا إسناد حسن إن شاء الله لأن فيه محمد بن صالح التمار قال الحافظ في التقریب: «صدوق يخطيء» وقال الذهبي في «العلو» (ص ٣٢): «صدوق» وله شاهد من مرسل علقمه بن وقاص رواه ابن اسحاق كما في «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (٤١٢/٧).

والحديث صححه الحافظ الذهبي في «العلو» (ص ٣٢) وابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٢٨٣).

لذلك يطمئن القلب إلى ثبوته والاحتجاج به في إثبات الفوقية خلافاً لمن أبى.

(٢١) متفق عليه .

(٢٢) هذا الحديث معروف عند العلماء بحديث «الجارية» وهو حديث صحيح - أخرجه مسلم (٢٠/٥ - ٢٤ - نووي)، والبخاري في «جزء القراءة» (٣٨)، وأبو داود (٩٣٠)، والنسائي (١٤/٣ - ١٨ - شرح السيوطي)، وأحمد (٤٤٧/٥ - ٤٤٨ و ٤٤٩ - ٤٤٨)، وابن الجارود في «المنتقى» (٢١٢)، وأبو عوانة (١٤١/٢)، والبخاري في «شرح السنة» (٢٣٧/٣ - ٢٣٩ - ٢٤٦/٩ - ٢٤٧) وغيرهم كثير وقد جمعت طرقه وألفاظه من عشرات المصادر المخطوطة والمطبوعة وسميته: «أين الله: دفاع عن حديث الجارية رواية ودراية».

## يرحمكم من في السماء<sup>(٢٣)</sup>.

(٢٣) هذا الحديث المشهور بين العلماء بالمسلسل بالأولية، قال شيخنا ناصر الدين الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٢٥): «وروى العراقي في «العشريات» (١/٥٩) من هذا الوجه مسلسلاً بقول الراوي: «وهو أول حديث سمعته منه» ثم قال: «هذا حديث صحيح».

وقال العطار في «منتخب العوالي» (ص ٩)، «هذا حديث عظيم حسن الإسناد والتمن».

قلت: بل هو صحيح لغيره.

أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦٤/٩)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤) وصححه، وأحمد (١٦٠/٢) والحاكم (١٥٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي، والحميدي (٥٩١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٦٠/٣) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٣٤)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٧٧٥) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٣) وابن قدامة في «صفة العلو» (١٥).

كلهم من طريق سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس موسى عبدالله ابن عمرو عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً. وهذا إسناد رجاله رجال الشيخين غير أبي قابوس قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «مقبول» أي عند المتابعة وقد توبع كما نقل شيخنا حفظه الله عنه في «سلسلته الصحيحة» (٦٣١/٢) عن ابن ناصر الدين الدمشقي: «ولأبي قابوس متابع، رويناه في مسندي أحمد بن حنبل وعبد بن حميد من حديث أبي خدّاش حبان بن زيد الشرعي الحمصي أحد الثقات عن عبدالله بن عمرو بمعناه...»

وللحديث شاهد من حديث جرير عن عبدالله رضي الله عنه أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٥٥/٢) و«مكارم الأخلاق» (٤٥) وفيه أبو إسحاق السبيعي وقد عنعنه.

وله شاهد آخر من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢١٠/٤، ٢١١) و«أخبار أصبهان» (٢١٩/١)، والطبراني في «الكبير» (١٠٢٧٧) و«الصغير» (١٠١/١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٧٥/١)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٨/٣ - ٣٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٥) من طريق أبي عبيدة عن أبيه.

وهذا إسناد منقطع لأنّ أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

والحديث صححه جماعة من أهل العلم كالترمذي والحاكم والذهبي والعراقي وابن ناصر الدين الدمشقي وشيخنا الألباني وغيرهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»<sup>(٢٤)</sup>.

## أقوال الصجابة رضي الله عنهم ورضوا عنه .

١ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر: أيها الناس إن كان محمد إلهكم الذي تعبدونه فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الله الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت ثم تلا: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ حتى ختم الآية [ آل عمران: ١٤٤ ]<sup>(٢٥)</sup>.

٢ - الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

أ - لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقالوا: يا أمير المؤمنين لو ركبت برذوناً ليلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر رضي الله عنه: ألا أراكم من هاهنا إن الأمر من هاهنا، وأشار بيده إلى السماء<sup>(٢٦)</sup>.

ب - لقيت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقال لها

---

(٢٤) أخرجه مسلم .

(٢٥) أخرجه الدارمي في «الرد على بشر المريسي العنيد» (ص ١٠٥) و«الرد على الجهمية» (ص ٢٦) . ومن طريقه الحافظ الذهبي في «العلو» (ص ٦٢) وصححه . وأخرجه البخاري تعليقاً في «تاريخه» عن محمد بن الفضل عن أبيه عن نافع عن ابن عمر وذكره .

قلت : وهذا إسناد حسن إن شاء الله .

(٢٦) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٦٢) وقال : إسناده كالشمس قلت : وهو صحيح على شرط الشيخين .

خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها<sup>(٢٧)</sup> - وهو يسير مع الناس - فاستوقفته فوق لها، ودنا منها، واصغى إليها حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجلاً من قريش على هذه العجوز. قال: ويحك تدري من هذه؟ قال: لا. قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات<sup>(٢٨)</sup>. هذه خولة بنت ثعلبة.

والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضرني الصلاة فأصليها ثم ارجع إليها حتى تقضي حاجتها<sup>(٢٩)</sup>.

(٢٧) هكذا نسبت في أكثر المصادر، وفي «الإصابة» (٢٨٩/٤) خولة بنت مالك بن ثعلبة. قلت: وهي المجادلة التي أنزل الله في شأنها صدر سورة المجادلة ترجمتها في «الاستيعاب» (٢٩٠/٤) و«الإصابة» (٢٨٩/٤) و«أسد الغابة» (٢٩١/٦) و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٥٤٧/٣ و٣٧٨).

(٢٨) كما في فواتح سورة المجادلة.

(٢٩) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٢٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٦)، والذهبي في «العلو» (ص ٦٣) وقال: هذا إسناد صالح فيه انقطاع أبو يزيد لم يلحق عمر.

كلهم من طريق جرير بن حازم سمعت أبا يزيد المدني وذكره قال الكوثري «مريسي العصر» في تعليقه على «الأسماء والصفات» (ص ٥٢٩): «مختلط، وأبو يزيد لم يدرك عمر ولم يعرفه مالك مع كونه مدنياً».

قلت: أبو يزيد المدني وثقة ابن معين وأخرج له البخاري وروى عنه جماعة من الثقات.

فإذا كان مالك لا يعرفه فقد عرفه غيره... وهل الذي يوثقه ابن معين ويروى عنه جماعة من الثقات ولا يعرف فيه جرح ألبتة، لا يعرف.

ومن دونه ثقة من رجال الشيخين لكن في حديثه عن قتادة ضعف، وله أوهام إذا حدث من حفظه.

قلت: وهذا لا يضره إن شاء الله ومن الذي لا يهم أشعبة؟ أمالك؟

وأما قول الكوثري: مختلط

=

٣ - عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي الى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه<sup>(٣٠)</sup>.

٤ - زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها كانت

فقد قال الحافظ في «التقريب» (١٢٧/١): «مات سنة سبعين بعدما اختلط، لكن لم يحدث في حالة اختلاطه».

وقال في «هدى الساري» (ص ٣٩٥): لكنه ما ضره اختلاطه لأن أحمد بن سنان قال سمعت ابن مهدي يقول كان لجرير أولاد [ أصحاب حديث ] فلما أحسوا باختلاطه حجبه فلم يسمع منه في حال اختلاطه شيء...»

قلت: أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥٠٥/٢) بإسناد صحيح وما بين المعكوفتين زيادة منه.

فثبت أن هذا التعميم أراد به الكوثري التعميم!!

وبهذا التحقيق تسقط جميع العلل التي قدح الكوثري بها هذا الأثر إلا ما وافق فيه الذهبي رحمه الله وهو أن الإسناد منقطع فلم يسمع أبو يزيد من عمر لأنه لم يدركه.

قلت: وهي علة ليست قاذحة تنجبر بالشواهد والمتابعات وهي متوفرة والحمد لله .

قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢٩١/٤): «وروينا من وجوه عن عمر بن الخطاب» وذكر القصة وذكر لها إسناد آخر عن خليل بن دعلج عن قتادة ثم قال: «وخليل ضعيف سيء الحفظ».

قلت: وبهذا يرتقي هذا الأثر إلى درجة الحسن إن شاء الله .

(٣٠) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٠٧)، وابن خزيمة في «التوحيد»

(ص ١٠٥ و ١٠٦)، والدارمي في «الرد على المريسي العنيد» (ص ٧٣ و ٩٠

و ١٠٥) و «الرد على الجهمية» (ص ٢٦) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد

أهل السنة والجماعة» (٣/٣٩٦).

من طرق عن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه قلت: وهذا إسناد حسن

موقوف .

تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات<sup>(٣١)</sup>.

٥ - عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

استأذن ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها وهي تموت، فقال:

كنت أحب نساء النبي ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيباً، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات<sup>(٣٢)</sup>، جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه الله إلا وهي تتلى آناء الليل وآناء النهار<sup>(٣٣)</sup>.

## أقوال التابعين رحمهم الله.

### ١ - مسروق رحمه الله

= وقال المصنف في «الأصل» (ص ١٦٠): وذكر سنيد بن داود بإسناد صحيح عنه وذكره.

قلت: وصححه الحافظ الذهبي في «العلو» (ص ٦٤).

(٣١) أخرجه البخاري (٤٠٣/١٣) والترمذي (٣٥٤/٥ - ٣٥٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٢٥)، وابن سعد في «الطبقات» (١٠٣/٨).

قلت: وفي لفظ: «إن الله انكحني في السماء».

أخرجه البخاري (٤٠٤/١٣ - الفتح)، والنسائي (٨٠/٦) وأحمد (٢٢٦/٣)، وابن سعد في «الطبقات» (١٠٦/٣).

وفي لفظ ثالث: «زوجنيك الرحمن من فوق عرشه وكان جبريل هو السفير بذلك ذكره الحافظ في «الفتح» (٤١٢/١٣) وهو مرسل.

ووقع عند ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١١/٢٢) لفظ آخر نحو الثالث: «... وإني الله من السماء وإن السفير جبرائيل عليه السلام».

وزاج الرسول من زينب بنت جحش بأمر الله كما في سورة الأحزاب آية ٣٧.

(٣٢) أي برأها الله من الإفك كما في سورة النور الآيات (١١-٢١).

(٣٣) أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص ١٠٥) و«الرد على الجهمية»

(ص ٧) من طريق ذكوان حاجب عائشة وإسناده صحيح على شرط مسلم.

كان إذا حَدَّثَ عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثني الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما حبيبة حبيب الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سماوات<sup>(٣٤)</sup>.

٢ - سليمان التيمي رحمه الله .

قال: لو سئلت أين الله؟ لقلت: في السماء<sup>(٣٥)</sup>.

٣ - ربيعة بن أبي عبد الرحمن رحمه الله .

سئل عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾:

[ طه: ٥ ] .

قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله تعالى الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التصديق<sup>(٣٦)</sup>.

٤ - قول التابعين جملة

---

(٣٤) صححه «المصنف» رحمه الله في «الأصل» (ص ١٦٣)، والذهبي في «العلو» (ص ٩٢).

(٣٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤٠١/٣) بإسناد لا بأس به، وعلقه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ١٥).

(٣٦) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ٩٨) من طريق سفيان الثوري وإسناده صحيح. وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨/١) من طريق سفيان بن عيينة.

قال شيخ الإسلام في «الحموية» (٤٤٢/١ - ضمن مجموعة الرسائل الكبرى): رواه الخلال بإسناد كلهم أئمة.

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥١٦) من طريق عبد الله بن صالح ابن مسلم.

فثبت هذا الجواب عن ربيعة الرأي والحمد لله قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣٦٥/٥): «ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك» وأخرجه اللالكائي (٣٩٧/٣) والصابوني في «عقيدة السلف» (١١٠/١) المنيرية والذهبي في «العلو» (ص ١٥) عن أم سلمة مثله قلت: ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها لا يصح.

قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٦٥/٥) بعد قوله الأنف: «وقد روي =



قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة به من صفاته<sup>(٣٧)</sup>.

## قول تابع التابعين رحمهم الله تعالى

١ - عبدالله بن المبارك رحمه الله.

قال: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات على العرش استوى بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية<sup>(٣٨)</sup>.

٢ - حماد بن زيد رحمه الله.

قال: الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء

---

= الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها: موقوفاً ومرفوعاً ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه.

وقال الذهبي في «العلو» (ص ٦٥): «هذا القول محفوظ عن جماعة كريمة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح لأن أبا كنانة ليس بثقة، وأبو عمير لا أعرفه».

(٣٧) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥١٥)، وصححه شيخ الإسلام في «الحموية» (٤٤١/١ - مجموعة الرسائل الكبرى)، والمصنف رحمه الله في «الأصل» (٦٩).

قلت: وهو كما قال.

(٣٨) أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي العنيد» (ص ٢٤ و ١٠٣) و«الرد على الجهمية» (ص ٥٠). والذهبي في «العلوم» (ص ١١٠) وصححه. وابن عبد البر في «التمهيد» (١٤٢/٧)، والصابوني في «عقيدة السلف» (١١١ منيرية).

قال شيخ الإسلام في «الحموية» (٤٤٨/١ - مجموعة الرسائل الكبرى): وروى عبدالله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك وذكره.

وقال المصنف رحمه الله في «الأصل» (ص ٧١): «روى الدارمي والحاكم والبيهقي وغيرهم بأصح إسناد...»

وقال أيضاً (ص ١١٣): وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر».

شيء (٣٩).

قال شيخ الإسلام . وهذا الذي كانت الجهمية يحاولونه صرح به المتأخرون منهم ، وكان ظهور السنة وكثرة الأئمة في عصر أولئك يحول بينهم وبين التصريح به ، فلما بعد العهد وخفيت السنة وانقرضت الأئمة صرحت الجهمية النفاة بما كان سلفهم يحاولونه ولا يتمكنون من إظهاره .

### أقوال الأئمة الأربعة واتباعهم

١ - الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله .

قال شيخ الإسلام : وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور عند أصحاب أبي حنيفة (١) الذي رواه بالإسناد عن أبي مطيع الحكم ابن عبدالله البلخي ، قال أبو حنيفة :

(٣٩) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (ص ٩ - ١٠) من طريقين عن سليمان بن حرب عنه به .

قلت : وهو إسناد صحيح وقد صححه شيخ الإسلام رحمه الله في «الحموية» (١/٤٤٨ - مجموعة الرسائل الكبرى) فقال : «وبإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الإمام سمعت حماد بن زيد وذكره» .

(٤٠) قول شيخ الإسلام : «المشهور عند أصحاب أبي حنيفة إشارة قوية أن «الفقه الأكبر منسوب للإمام أبي حنيفة وليس له وقال الحافظ الذهبي في «العلو» (ص ١٠١) : «وبلغنا عن أبي مطيع الحكم بن عبدالله البلخي صاحب الفقه الأكبر» .

فتأمل كيف ينسب كتاب الي غير صاحبه ويشتهر الأمر عند الحنفية دون تحقيق حيث طبع عدة مرات منسوباً للإمام أبي حنيفة رحمه الله ومن أشهر شراحه أبو منصور الماتريدي الذي ينتمي إليه أكثر الحنفية في العقيدة .

وقد تأول الماتريدي كلام أبي حنيفة فأفسد الحق فيه فقال (ص ١٩) : «لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له مكان فكان مشركاً» .

قلت : تعليق شيخ الإسلام على كلام أبي حنيفة النعمان يبين أن علة كفر منكر العلو في كلام أبي حنيفة إنما هو انكاره ما دلت عليه الآية القرآنية ﴿الرحمن على =

«ومن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقد كفر لأن الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [ طه: ٥ ] وعرشه فوق سبع سماوات .

قلت: فإن قال إنه على العرش، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال هو كافر لأنه أنكر أن يكون في السماء لأنه تعالى في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل .

وفي لفظ سألت أبا حنيفة عن يقول لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض. قال فقد كفر لأن الله يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [ طه: ٥ ] . وعرشه فوق سبع سماوات . قال: فإنه يقول على العرش استوى ولكنه لا يدري العرش في الأرض أو في السماء. قال: «إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر». أ. هـ.

قال شيخ الإسلام: «ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة المشهور عند أصحابه: أنه كفر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فكيف يكون الجاحد

---

= العرش استوى﴾: [ طه: ٥ ] .

وقد علق أيضاً شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي على رواية أبي مطيع، البلخي فقال ( ص ٢٨٨ ) : «ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته . . .

وقصة أبي يوسف في استتابة بشر المريسي، لما أنكر أن يكون الله عز وجل فوق العرش مشهورة رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره» .

النافي الذي يقول ليس في السماء، أو ليس في السماء أو في الأرض، واحتج على كفره بقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [ طه: ٥ ]. قال: وعرشه فوق سبع سماوات.

وبين بهذا أن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [ طه: ٥ ]. يبين أن الله فوق السماوات فوق العرش، وأن الاستواء على العرش دل على أن الله بنفسه فوق العرش.

ثم إنه أردف بتكفير من قال أنه على العرش، استوى، ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض، قال: لأنه أنكر أنه في السماء، لأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية؛ فإن القلوب مفسورة على الاقرار بأن الله في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر<sup>(٤١)</sup>.

٢ - أبو جعفر الطحاوي الحنفي رحمه الله.

ذكر في اعتقاد أبي حنيفة وصاحبيه رحمهم الله ما يوافق هذا، وأنهم أبرأ الناس من التعطيل والتجهم، وقال في عقيدته

(٤١) وانظر «مجموع الفتاوى» (٤٨/٥).

المعروفة: «وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الاحاطة خلقه»<sup>(٤٢)</sup>.

٣ - الإمام مالك بن أنس رحمه الله .

قال: «الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان»<sup>(٤٣)</sup>.

وسئل رحمه الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [ طه : ٥ . كيف استوى؟

فقال رحمه الله: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة . .»<sup>(٤٤)</sup>.

---

(٤٢) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي ( ص ٢٨٠ ) .

(٤٣) أخرجه عبدالله بن أحمد بن حنبل في حنبل في «السنة» ( ٣٤ )، وأبو داود في «مسائل الإمام أحمد ( ص ٢٦٣ )، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ( ٤٠١/٣ )، وابن عبد البر في «التمهيد» ( ١٣٨/٧ ) من طريق سريح بن النعمان قال حدثنا عبدالله بن نافع وذكره . قلت: وهذا إسناد صحيح، عبدالله بن نافع هو الصائغ ثقة صحيح الكتاب في حفظه لين وهو من أثبت الناس في مالك وانظر التهذيب ( ٥١/٦ - ٥٢ ) . وسريح بمهمله فراء ثقة يهم قليلاً، ثبت الأثر وبطل النظر والحمد لله رب العالمين .

(٤٤) أخرجه الدارمي في « الرد على الجهمية » ( ص ٣٣ ) وقال: « وصدق مالك : لا يعقل منه كيف، ولا يجهل منه الاستواء، والقرآن ينطق ببعض ذلك في غير آية»، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ( ٣٩٨/٣ )، وابن عبد البر في التمهيد ( ١٥١/٧ )، والصابوني في «عقيدة السلف» ( ١١٠/١ - ١١١ ) وأبو نعيم في «الحلية» ( ٣٢٥/٦ - ٣٢٦ ) .

لم يذكر في رواية اللالكائي والصابوني وابن عبد البر شهود جعفر بن عبدالله للحادثة، وأما في رواية أبي نعيم ففيها ذلك، وأما في رواية الدارمي ففيها أن جعفر بن عبدالله رواها عن رجل . وفي ذلك احتمالات :

١ - أن يكون مهدي بن جعفر قد اضطرب فيها فرواها بهذه الوجوه .

٤ - الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله .

قال في كتاب «التمهيد»<sup>(٤٥)</sup> في شرح الحديث الثامن لابن شهاب: «هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو حديث منقول من طرق متواترة، ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ وفيه دليل

= ٢ - أن تكون الحادثة وقعت مرتين، مرة شهدها جعفر، ومرة سمعها ممن شهدها.  
٣ - أن يكون حضرها ورواها عن حضرها معه.

والحادثة رواها البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥١٥ - ٥١٦) بإسنادين آخرين.

الأول: من طريق عبدالله بن وهب يقول: كنا عند مالك وذكره قلت: صححه الحافظ الذهبي في «العلو» (ص ١٠٣) فقال: «وساق البيهقي بإسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب». وجرّد اسناده أيضاً الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/٤٠٦ - ٤٠٧) فقال: «وأخرج البيهقي بسند عن عبدالله بن وهب.

الثاني: من طريق يحيى بن يحيى. وأخرجه أيضاً في «الاعتقاد» (ص ٧١). قلت: والقصة لا ريب في ثبوتها عن مالك بن أنس تلقاها أهل السنة بالقبول واستحسنها العلماء وتداولها في مصنفاتهم.

قال ابن تيمية رحمه الله في «الاكلیل» (ص ٥٠): «وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السنة من ينكره».

وقال في «شرح حديث النزول» (ص ١٤٥): وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشدّه استيعاباً لأن فيه نبد التكيف وإثبات الاستواء المعقول، وقد إثم أهل العلم بقوله واستجوده واستحسنوه»، واحتج به أيضاً في «الحموية» (١/٤٤٣ - مجموعة الرسالة الكبرى) وفي «مجموع الفتاوى» (٥/٣٦٥).

وقال مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي في «العلوم» (ص ١٠٤): «هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة».

وذكره البغوي في «شرح السنة» (١/١٧١) تعليقاً لكنه بصيغة الجزم .

(٤٥) انظره (٧/١٢٨ - ١٢٩) طبع المغرب وهو بحث نفيس ماتع جادت به قريحة هذا الإمام الهمام، ولولا أن يتدارك القارئ الملل لأتيت به كاملاً على عَجَل .

على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله عز وجل في كل مكان، وليس على العرش، والدليل على صحة ما قالوه أهل الحق في ذلك...» أ. هـ مختصراً.

٥ - عبدالله بن أبي زيد القيرواني الملقب بـ «مالك الصغير».

«وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه»<sup>(٤٦)</sup>.

٦ - الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله .

نقل عنه ابن ابي حاتم أنه قال: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم، وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الاقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء.

٧ - اسماعيل بن يحيى المزني .

قال في رسالته في «السنة» التي رواها أبو طاهر السلفي عنه بإسناده: «... عالٍ على عرشه، وهو دان بعلمه من خلقه أحاط علمه بالأمور...» أ. هـ -

٨ - سعد بن علي الزنجاني .

---

(٤٦) الرسالة (ص ٢٠) طبع المغرب.

قال: «وهو فوق عرشه بوجود ذاته» .

٩ - أبو القاسم الطبري اللالكائي .

قال: « سياق ما روى في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [ طه: ٥ ] وأن الله على عرشه في السماء»<sup>(٤٧)</sup> .

١٠ - الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

الخلال في كتاب «السنة» بإسناده: قيل لأحمد بن حنبل ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان .

## أقوال أئمة أهل الحديث الذي رفع الله منازلهم في العالمين رحمهم الله

١ - إسحاق بن راهويه رحمه الله .

(٤٧) انظر «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٣٨٧) .

(٤٨) صحيح . رجاله ثقات عبد الله بن أحمد هو ابن الإمام كان رحمه الله ثبتاً فهما ثقة، حَدَّثَ عن أبيه ولم يكن في الدنيا أورى منه عن أبيه رحمه الله لأنه روى المسند والتفسير .

ومن دونه هو يوسف بن موسى القطان ثقة من شيوخ البخاري سمعه منه الخلال فثبت الإسناد والحمد لله رب العباد .

قلت: المنقول عن هذا الإمام الهمام في هذا الباب كثير مبارك فيه، فهو العالم الرباني والصديق الثاني حامل لواء السنة والصابر في المحنة، ومن ذلك ما جاء في كتابه «السنة» (ص ٧٥): «... والله عز وجل فوق العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى، وما في قعر البحار ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومشاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة... وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان» أ. هـ. مختصراً .



قال حرب بن اسماعيل الكرمانى صاحب أحمد قلت  
لاسحاق بن راهويه: قول الله عز وجل: ﴿ما يكون من نجوى  
ثلاثة إلا هو رابعهم﴾: [المجادلة: ٧]، كيف تقول فيه؟ قال:  
حيثما كنت، فهو أقرب إليك من جبل الوريد وهو بائن من خلقه،  
ثم قال: وأعلى كل شيء من ذلك وأثبته قول الله عز وجل:  
﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [طه: ٥].

٢ - عثمان بن سعيد الدارمي .

قال في «الرد على المريسي العنيد» (ص ٢٥): «وقد  
اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء».

وقال (ص ٧٩): «لكننا نقول رب عظيم، ومملك كريم  
كبير، نور السماوات والأرض، وإله السماوات والأرض، على  
عرش مخلوق عظيم فوق السماء السابعة...»

وقال (ص ٨٢): «... بل هو على عرشه، فوق جميع  
الخلائق في أعلى مكان كما قال الله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق  
عباده﴾: [الأنعام: ١٨ و٦١].

وقال في «الرد على الجهمية» (ص ٢٠) «... آمننا به،  
وعلمنا يقيناً بلا شك أن الله فوق عرشه فوق سماواته، كما وصف  
بائن من خلقه».

قال المصنف رحمه الله عن كتابي الدارمي: وكتابه من أجل  
الكتب المصنفة في السنة وانفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده  
الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ

---

(٤٩) انظر (١٣/٤٠٣ - الفتح).

كتابه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جداً، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما.

٣ - الامام محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله

قال في كتاب التوحيد من «صحيحه» باب قول الله عز وجل: ﴿وكان عرشه على الماء﴾: [هود: ٧]. ﴿وهو رب العرش العظيم﴾: [التوبة: ١٢٩].

قال أبو العالية: استوى إلى السماء ارتفع، فسواهن خلقهن، وقال مجاهد: استوى علا على العرش.

ثم ساق البخاري حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها: أنها كانت تفتخر على نساء رسول الله ﷺ، فتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات<sup>(٥٠)</sup>.

٤ - الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله.

قال في رسالته المشهورة في «السنة»<sup>(٥١)</sup>: «وأن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه».

### أقوال أئمة التفسير رحمهم الله

١ - الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله.

(٥٠) مضي برقم (٣١).

(٥١) يوجد لأبي عثمان الصابوني رسالة نافلة مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية

(١٠٥/١ - ١٣٥) باسم «عقيدة السلف وأصحاب الحديث».

قلت: فلعلها هي دون جزم، وإن كنت أرجح ذلك فقد نقل شيخ الإسلام فضلاً

طويلاً من الرسالة المسماة «السنة» في كتابه القيم: «شرح حديث النزول» (ص

٥٠ - ٥١) يوافق ما في المطبوعة والله تعالى أعلم.

قال في «تفسيره»<sup>(٥٢)</sup> في قول الله عز وجل: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾: [ الفرقان: ٥٩ ] أي علا عليه .

٢ - الإمام الحسين بن مسعود البغوي رحمه الله .  
قال في «تفسيره» الذي هو شجى في حلق الجهمية والمعطلة في قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ . . .  
وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء ثم قال: وأما أهل السنة فيقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل ان يؤمن بذلك، ويكل العلم فيه الى الله تعالى<sup>(٥٣)</sup> .

٣ - الامام أبو عبدالله القرطبي رحمه الله .

قال: «ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته .  
قال الامام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم - يعني في اللغة - والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، والاستواء في لغة العرب العلو والاستقرار»<sup>(٥٤)</sup> . وقال في شرح الأسماء الحسنى: «وأظهر الأقوال ما تظاهرت عليه الآي والأخبار، وقال جميع الفضلاء الأخيار: إن الله على عرشه كما أخبر في كتابه وعلى لسان نبيه بلا كيف بائن من جميع خلقه، هذا مذهب السلف الصالح فيما نقل عنهم الثقات» .

### أقوال أئمة اللغة رحمهم الله

١ - أبو عبدالله محمد بن الأعرابي رحمه الله . عن نبطويه

(٥٢) انظر «جامع البيان في تفسير القرآن» لابن جرير (١٩/١٩) .

(٥٣) انظر «معالم التنزيل» للبغوي (٤٨٨/٣) طبعة المنار .

(٥٤) انظر «الجامع لأحكام القرآن» (٧/٢١٩ - ٢٢٠) .

حدثنا داود بن علي قال: كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: يا أبا عبدالله، ما معنى قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [ طه: ٥ ]؟ قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال يا أبا عبدالله إنما معناه استولى. فقال: اسكت، لا يقال استولى على الشيء حتى يكون له مضاد إذا غلب أحدهما قيل استولى كما قال النابغة.

إلا لمثلك أو من أنت سابقه

سبق الجواد إذا استولى على الأمد<sup>(٥٥)</sup>

(٥٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢٨٤/٥) واللالكائي في شرح «أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣٩٩/٣) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٥٢٣)، والذهبي في «العلو» (ص ١٣٣)، وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (٤٠٦/١٣) إلى الهروي في كتابه «الفاروق» وذكره ابن منظور في «لسان العرب» (٤١٤/١٤).

قلت: وإسناده صحيح.

وهذا بحث نفيس من إمام في اللغة يدحض أقوال الجهمية ومن شايعهم الذين فسروا الاستواء بالاستيلاء، وأن هذا التفسير لا تعرفه لغة العرب. قال ابن الأعرابي: أرادني ابن أبي داؤد أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [ طه: ٥ ] استوى بمعنى استولى، فقلت له والله ما يكون هذا ولا وجدته.

قلت: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٨٣/٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣٩٩/٣) وغيرهما وإسناده صحيح.

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٣١/٧): «... وقولهم في تأويل استوى: استولى فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد».

قول أبي الحسن الأشعري رحمه الله<sup>(٥٦)</sup>.

قال في «الإبانة عن أصول الديانة» (ص ١٠٥): «ذكر الاستواء على العرش. إن قال: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواء يليق به من غير طول استقرار كما قال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [ طه: ٥ ] . . . فالسماوات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿أأنتم من في السماء﴾: [ الملك: ١٤ ]، لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: ﴿أأنتم من في السماء﴾: [ الملك: ١٤ ]، يعني جميع السماوات وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات . . .» أ. هـ.

وفي (ص ١٠٨ - ١١٩) نقد كلام المعتزلة القائلين ان الاستواء يعني الاستيلاء وقال في نهاية هذا البحث العزيز: «وروت العلماء أن رجلاً أتى النبي ﷺ بأمة سوداء فقال يا رسول الله إني أريد أن اعتقها في كفارة، فهل يجوز عتقها؟ فقال لها النبي ﷺ: «أين الله» قالت: في السماء. قال: «فمن أنا» قالت: أنت رسول الله. فقال النبي ﷺ: اعتقها فإنها مؤمنة». وهذا يدل على أن الله تعالى فوق عرشه فوق السماء فوقية لا تزيده قرباً من العرش» أ. هـ.

(٥٦) حاول بعض الناس أن يشكك فيما ينقل عن أبي الحسن الأشعري من الأقوال المصرحة بأن الله في السماء والتي تقطع جهيزه المؤولة المعطاة الذين ينتسبون إليه جهلاً وزوراً.

وهذا التشكيك ذو أربع شعب

١ - أن كتاب «الإبانة» ليس من تصنيف أبي الحسن الأشعري .

وقال في «مقالات الاسلاميين» (ص ٢٩٠): «... وأن الله على عرشه كما قال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: [طه: ٥]، ثم قال (ص ٢٩٧):

«فهذه جملة ما يأمرون ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير».

٢ - أن «الإبانة» ليس آخر كتاب صنفه أبو الحسن الأشعري .  
 ٣ - أن «الإبانة» صنفه أبو الحسن الأشعري لاستدراج مجسمة الحنابلة وانقاذهم وأنه لم يتعقد ما فيه .  
 ٤ - أن بعض الحنابلة دس هذه العبارات في كتب أبي الحسن الأشعري .  
 وقبل البدء في تصحيح هذه الشبهات وكشف عوارها نذكر أن الأمر هذا ذوبال للأسباب الآتية:

١ - أن السواد الأعظم من المسلمين أشاعرة في العقيدة .  
 ٢ - أن الأشعرية ليس لها من مذهب أبي الحسن إلا الاسم .  
 أما الشبهة الأولى فقد أصبت منها مقتلاً والحمد لله في كتابي «مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويماً» (ص ١٠٤ - ١٠٧) فاغنى عن الاعادة ومن شاء الزيادة فلينظر «رسالة في الذب عن الأشعري» تأليف أبي القاسم بن درباس .  
 وأما الشبهة الثانية فقد صرح أهل العلم أن في «الإبانة» هو الذي استقر عليه أمر الأشعري فيما كان يعتقد .

قال أبو القاسم بن درباس في رسالته (ص ١٠٧) «... فاعلموا معشر الإخوان وفقنا الله وإياكم لدين القويم وهدانا الله أجمعين للصرائط المستقيم بأن كتاب الإبانة عن أصول الديانة الذي ألفه الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقد ، وبما كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه عن الاعتزال بمن الله ولطفه، وكل مقال تنسب الآن مما يخالف ما فيه فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله سبحانه منها، كيف على أنه ديانتته التي يدين الله سبحانه بها ، وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين ، وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهل يسوغ أن يقال أنه رجع عنه إلى غيره، فإلى ماذا يرجع تراه، يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله ، =

خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث الماضين، وقد علم أنه مذهبهم، ورواه عنهم هذا لعمرى ما لا يليق نسبته الى عوام المسلمين كيف بأئمة الدين، أو هل يقال أنه جهل الأمر فيما نقله عن السلف الماضين مع فئائه جل عمره في استقراء المذاهب وتعرف الديانات، هذا مما لا يتوهمه منصف، ولا يزعمه إلا مكابر مسرف، ويكفيه معرفته بنفسه أنه على غير شيء وحسبك أيها المنصف أن تعلم أن ابن عساكر رحمه الله ألف كتابه الفذ «تبيين كذب المفتري» لدحض هذه الشبهة وأمثالها.

وأما الشبهة الثالثة التي حمل لواءها ابن الاهوازي قديماً ودندن حولها الكوثري «مريسي العصر» في تعليقه على تبيين «كذب المفتري» (ص ٢٨) فقال يصف «الإبانة»: وهي على طريقة المفوضة في الإمساك عن تعيين المراد وهو مذهب السلف وأراد بها انتشال المتورطين في أحوال التشبيه من الرواة والتدرج بهم الى مستوى الاعتقاد الصحيح . . .» .

قلت: لقد نسب إلى السلف ظلماً وزوراً مذهب التفويض وهم منه براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب. وكذلك أيد ابن الأهوازي فيما ذهب اليه.

وقد علق الدكتور على بن محمد بن ناصر الفقيهي على ذلك فقال في تعليقه على رسالة ابن درباس (ص ١٢١ - ١٢٢): «فهو يصر (أي الكوثري) بهذا، أنه لم يعتقد ما فيها، وإنما عملها من أجل هؤلاء المتورطين في أحوال التشبيه لينقذهم مما هم فيه، ومن هؤلاء الذين تورطوا في أحوال التشبيه الرواة - ومن الرواة - رواة أحاديث رسول الله ﷺ الأحاديث التي اشتملت على صفات الباري جل وعلا، وهؤلاء الرواة عمن نقلوا هذه الأخبار المروية، إنهم نقلوها عن صحابة رسول الله الذين تلقوها عن المصطفى ﷺ، ومعنى هذا أن كل من روى هذه الأحاديث واعتقد ما فيها فهو مشبه وقوله: إن السلف مفوضة - كلام في غاية السقوط - إن السلف رضوان الله عليهم ليسوا حملة أسفار لا يفهمون ما ينقلون وهذا اتهام لهم بما لا يجوز صدوره من عالم عرف لأولئك الأخيار حقهم من التوقير والاحترام . . .»  
وأما الشبهة الرابعة فنقول: إن الدعاوى العارية عن الدليل لا تنفق في سوق البحث والتحقيق فهذا الوهم بالرد حقيق وبالله التوفيق.

ومما سبق يتبين

أن أبا الحسن الأشعري سلفي العقيدة كما في كتابه «الإبانة» والذي أثبت لها أكابر العلماء.

وهاك ما كتبتة من قبل في كتابي «مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم» ( ص ١١١ - ١١٣ ) بعد أن بينت اضطراب متأخري الأشاعرة:

«لقد بات يقيناً أن الأشعري رأس المذهب المنسوب إليه كان سلفياً على مذهب أهل الحديث، بينما الأشاعرة انتهوا الى الحيرة والتردد فالرجوع الى عقيدة السلف، وذكرنا أئمتهم فهذا الجويني في «الارشاد» و«الشامل» قد ذهب إلى التأويل في جميع آيات الصفات، ومن ثم عاد وترك ما صرح به فيهما، وذهب إلى خلاف ذلك كما في «العقيدة النظامية».

فما السر وراء ذلك؟ هل اتبع تلاميذ الأشعري خطوات استاذهم كما يزعمون؟ هل بقوا على المعالم التي ذكرها بين دفتي «الإبانة» وفي ثنايا «المقالات» وفي سطور «رسالة أهل الثغر»؟

الحقيقة تتجلى كالشمس في رابعة النهار فائلة أن متأخري الأشاعرة حرفوا مذهب الأشعري الذي يعد امتداداً لأقوال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وطمسوا معالم السبيل، ولم يبق من أشعرية أبي الحسن إلا الاسم، أليس من الظلم أن ينسب مذهب التأويل وعلم الكلام إلى أبي الحسن وقد تبرأ منهما؟ والذي يوضح ما ذهبنا إليه أن مذهب أبي الحسن رحمه الله في الصفات هو مذهب السلف رحمهم الله الإيمان بها دون تحريف ولا تكيف ولا تشبيه ولا تمثيل، بينما مذهب تلاميذه اثبات الصفات العقلية وهي سبع صفات وبعضهم تكرم وزادها ست صفات، ونفى الصفات الفعلية . . .

هذه الحقائق نوردها على افتراض صحة زعمهم أن للأشعري مذهباً أسسه، ورفع قواعده إلا أن هذه الحجة داحضة لقول الأشعري رحمه الله: «وبما كان أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لانه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل».

اذن فالأشعري لم يؤسس مذهباً مستقلاً بل يعد نفسه جزءاً من أهل الحديث، وامتداداً لما كان عليه إمام أهل السنة أحمد رحمه الله، والأولى بالأشاعرة إن كانوا صادقين في ادعائهم أنهم على سنن أبي الحسن رحمه الله أن يعلنوا انتسابهم

للإمام أحمد فمن المعلوم بداهة أن اللاحق ينسب للسابق، فهل نحن فاعلون؟ فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فاعلم قارئ الكريم أنهم لبسوا ثوب الأشعري تمويهاً وانتسبوا إليه تدليساً، ليخدعوا عامة الناس ببدعة علم الكلام فيجرهم سيل التأويل . . . «احذر أيها المسلم هذه الأحابيل ودع عنك علم الكلام فإنه أباطيل، واعلم أن الأشاعرة المتأخرين موهوا ومخرقوا واعتزلوا ذلك السبيل» أ. هـ



بتصرف.

وفيهم يقول ابن قيم الجوزية في خاتمة كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية»: «أفيظن أفراخ المعتزلة ومخانيث الجهمية ومقلدو اليونان أن يضعوا لواء رفعه الله تعالى، وينكسوا علماً نصبه الله تعالى، ويهدموا بناء شاده الله ورفعته، ويقلقوا جبلاً راسيات شادها وأرساها، ويظمسوا كواكب نيرات أنارها وأعلاها، هيهات هيهات بشما منتهم لو كانوا يعقلون، ولبس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعملون» أ. هـ.

تمت بحمد الله توفيقه.

رَفَعُ  
عبد الرحمن البجاري  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٩	ترجمة ابن قيم الجوزية مهذب اجتماع الجيوش الإسلامية ،
٢١	على غزو المعطلة والجهمية
٢٩	فصل في تسمية الله نفسه نورا فصل في قوله تعالى :
٣٢	﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾
٣٥	أقسام أصل الجهل
٤٥	فصل في ضرب الله لهم مثلاً آخر مائياً
٦٦	فصل في ملاك سعادة والنجاة والفوز
٧٤	أقوال الصحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه
٧٧	أقوال التابعين رحمهم الله
٨٠	أقوال الأئمة الأربعة وأتباعهم
٨٦	أوال أئمة أهل الحديث
٨٨	أقوال أئمة التفسير
٨٩	أقوال أئمة اللغة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)